تاريخ القليوبية

مخطوطة

بقلم الأستاذ صالح محمد فارس

بحث المخطوطة وحققها وقدّم لها

محمد يوسف عدس

مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : تاريخ القليوبية

اسم المؤلف : صالح محمد فارس

رقم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١٤

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت ٠١٠٠٠٤٠٤٢٦ _ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

مقدمة المحقق عن المؤلف

ولد الأستاذ صالح محمد فارس فى قرية بهوت سنة ١٨٩٢ وتوفى سنة ١٩٦٨ . وعاش حياة حافلة بالنشاط والإنجاز :

** فقد حفظ القرآن كله وأتقن تجويده فى كتّاب القرية.

** وتعلم فى المدرسة الأولية ثم فى مدرسة المعلمين الابتدائية بالمنصورة.

** تعلم الفقه والعلوم الشرعية فى نفس الوقت وكان أبرز أساتذته الشيخ محمد عبد المتعال البهوتى . الذى كان له مؤلفات ورواق باسمه فى الأزهر الشريف.

** تأثر بكل من الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا. ونهج منهجهم التجديدي فى الفكر والإصلاح.

** كان من أوائل الخريجين الذين درسوا الصحافة فى كلية الآداب جامعة القاهرة في الأربعينات من القرن العشرين.

** كان له نشاط واسع فى الكتابة الصحفية خصوصا فى جريدة الأهرام. حيث كتب سلسلة من المقالات عن تاريخ الشرقية وشبه جزيرة سيناء. واهتم بصفة خاصة بالأُسَر التى تقطن فى هذه المناطق المنحدرة من أصول مهاجرة من الجزيرة العربية. وتتبع تطورها ورصد أفرادها جيلا بعد جيل وأودع هذا كله مفصلا فى كتاب له نشر فى الأربعينات من القرن العشرين. ويمكن اعتباره من أبرز كتّاب التاريخ المحلى فى مصر.

أُعْلَمُ أن التاريخ المحلي يحظى بعناية خاصة فى بلاد العالم المتقدمة . ومن عاش فى هذه البلاد من الأجانب أمثالنا يندهش لمدى الإقبال على قراءة التاريخ المحلي، و اهتمام الناس به؛ فمن المألوف أن تسمع عن تاريخ بلدة صغيرة أو قرية أو حتى مدرسة ابتدائية. أو ثانوية. فهذه المجتمعات الصغيرة حواضن للتاريخ الحي بين مجموعات محدودة من البشر تربطهم علاقات حميمة. واهتمامات وعواطف مشتركة. وتتشابه هوِيّاتهم؛ حيث تسقط فيما بينهم الفوارق الاجتماعية والاقتصادية، والمعتقدات السياسية التى تنشأ فى مرحلة تالية من العمر.

ففى المجتمعات الحضرية ، تتجسّم الحواجز النفسية بين الناس؛ خصوصا فى المدن الكبيرة. فلا يكاد يُعرف فيها من العلاقات البشرية إلا

علاقات السكن والجوار وتبادل المنافع إن وُجدت. وهي علاقات مكانية مادية قلّما تثري الوجدان أو تحتفظ بها ذاكرة الإنسان. كما تزدهر وتترسخ فى القرية أو المدرسة الصغيرة؛ إذ تبقى كامنة فى الذاكرة عبر سنوات العمر كلها.

** من دراسته لثقافات القبائل التى جاءت لمصر خلال الفتح الإسلامي مع عمرو بن العاص اكتشف صالح فارس جذور اللهجة العربية التى شاعت فى مصر . وتتبّع أصولها فتبين له أن نطق المصريين للغة العربية يرجع فى أصله إلى لغة القبائل اليمنية لأن هذه القبائل كانت تشكّل الجانب الأكبر من جيش بن العاص. وظهر تأثيرها فى نطق الجيم بغير تعطيش، بينما كان عرب الحجاز وشمال الجزيرة العربية يعطشونها.

كما ظهر أيضا فى كسر ياء المضارع بينما عرب الشمال ينطقونها بالفتحة. فهم يقولون: يَجرى ويَلعب ويَمشى ويَروح بينما ينطقها المصريون هكذا: يِجرى ويِلعب ويِمشى ويِروح. ويقول: إن كلا النطقين صحيح وجائز فى اللغة الفصحى. وهذا الاكتشاف اللغوي لم يتطرق إليه باحث قبل الأستاذ صالح فارس.

** أجاد كتابة الشعر وعبّر به فى مناسبات كثيرة وطنية ودينية وفى رثاء مشاهير القوم. ومن بين اهتماماته أنه صاغ بعض كتب العلوم نظْما كان يحفظه تلاميذه بسهولة. ويتذكرونه مدى حياتهم على شكل أراجيز (جمع أرجوزة).

** كان خطيبا مؤثرا ومفوّها، يرتجل فى خطبه ولا يلجأ لقراءة أوراق مكتوبة فقد وهبه الله ذاكرة من حديد.

** وكما اهتم بالشعر ألّف القصة . فقد اعتبر القصة عنصرا مهما فى توجيه الشباب. وتحفيزهم على العمل الوطني والاستقامة فى الحياة. ومن عناوين قصصه نذكر:

مفتاح السعادة، ورمسيس الأكبر، والطائف العربيّ، وكبرياء محطّمة.

** ومن كتبه الأخرى نذكر:

حياتى بلا فخر، التجديد فى اللغة والكتابة والمرأة، أسرار التنويم المغناطيسي، مجد العرب، تاريخ مصر القديمة، تاريخ الشرقية، محيط التاريخ.

** كان صديقا للشاعر على الجارم، ووُجدت فى أوراقه بعد وفاته مراسلات وبطاقات تهنئة من على الجارم وأحمد شوقى أمير الشعراء، وعمر

طوسن باشا، الذى كان من الأسرة الملكية ولكنه كان مثقفا وعاشقا للأدب.

** كان عصره بحق هو عصر انبثاق الوطنية والنضال من أجل الحرية والاستقلال من المستعمر الأجنبي (الإنجليزي فى ذلك الوقت) . من أهم قصصه كتاب بعنوان "كبرياء محطمة" لو تأملت فيها لوجدتها تتضمن تاريخ أسرته التى انحدر منها فهو يتحدث عن أجداده الذين وقعت عليهم مظالم تاريخية فهاجروا فرارا بحريتهم من الظلم وتشتتوا فى بقاع الأرض:

ذهب بعضهم إلى الأردن وفلسطين ومصر وحتى إلى تركيا. وبقيت روح الإباء وعدم الخضوع تجرى فى دماء الأسرة حتى وصلت إلى جده سليمان الذى هاجر بأسرته مصطحبًا ابنه محمد (أب الأستاذ صالح) حيث كان قد بلغ سن التاسعة عشرة من عمره، فرارا من قانون السخرة التى كان الخديوي إسماعيل يستخدمه لجمع عِمالة مجانية يسخّرها لحفر قناة السويس خضوعا لإملاءات ديليسبس الفرنسي.

هاجرت الأسرة من قرية دِيَسْط مركز شربين، إلى بهوت. لأن بهوت فى ذلك الزمن كانت تشبه جزيرة محصنة بالبرك وغابات من الهيش البرّي، ولم تكن تقع على نهر أو على طرق ممهّدة كما هو الشأن فى بلقاس ونبروه، ومن ثم

كانت بعيدة عن متناول السلطات الحاكمة، ولعل هذا من أسرار طبيعتها المتمرّدة، وميلها إلى الحرية، وثورتها على الظلم، كما تجلّى فى أحداث الصدام الدموي بين الفلاحين والإقطاع فى صيف سنة ١٩٥١ .

المهم أن الوقت الذى هاجرت فيه أسرة فارس إلى بهوت صادف هجرة أسرة أخرى من نفس المنطقة هى أسرة "على علم الدين الراجحى عدس" وابنه يوسف الذى هو جدّى رحمه الله. لنفس السبب من قرية أخرى بمركز شربين، اسمها كفر الدّبُّوسة. وربما كانت هذه الواقعة هى سبب المصاهرة بين الأسرتين وارتباطهما فيما بعد. فقد تزوج أبى أخت الأستاذ صالح الصغرى وتزوجت أنا ابنته الصغرى يرحم الله الجميع.

** أجاد صالح فارس اللغة العربية وله مؤلفات فيها كما ذكرت، وكان يعمل خبيرا فى مجمع اللغة العربية المصري، و شرع فى أخريات حياته فى تأليف قاموس مبسط للشباب يساعدهم على إتقان اللغة العربية، كما بدأ فى وضع تفسير ميسّر للقرآن الكريم، تسهيلا على الشباب لفهم القرآن.

** كتب المسرحيات الوطنية ومُثلت مسرحياته على مسارح محلية خصوصا فى مدينة الإسماعيلية. دعّم بها جهود رائد الاقتصاد المصري طلعت حرب. وقد خصص عائدات هذه المسرحيات لتعزيز مشروعه فى

إنشاء أول بنك وطنى هو "بنك مصر" وكان يطلق على هذا الجهد اسم "مشروع القرش".

** كان معلما ومربيا وله فضل كبير على تلاميذه الذين تأثروا به تأثّرا شديدا وما فتئوا يذكرون أفضاله عليهم طوال حياتهم .

** كان له أسلوب متميز فى التعليم والتربية . وربط التعليم بالبيئة الاجتماعية والحياة العامة والاهتمامات الجارية. ولم تخْل دروسه من الفكاهة الرصينة التى تشيع اليقظة وتكسر الملل وتبقى فى الذاكرة. ولقد بقيت فى ذاكرتى من هذه الفكاهات أنه طلب منى وأنا تلميذ فى المدرسة الابتدائية أن أعرب جملة "باض الحمام على وجه الكنيف" حاوِلْ أن تعربها أنت بصوت مسموع وستعرف أين تكمن الفكاهة، بين الكلمتين الأخيرتين: المضاف والمضاف إليه..! (لأن كلمة الكنيف تعنى المرحاض).

** كان معجبا بالجبرتى المؤرخ المصري المشهور الذى اشتهر بكتاباته التاريخية عن الحملة الفرنسية على مصر؛ حيث كان يسجل وقائعها يوما بيوم ويتطرق إلى تأثير الأحداث على اهتمامات الناس وأفكارهم ومواقفهم. فيما عُرف بيوميات الجبرتى. وهكذا فعل الأستاذ صالح فارس: فقد كتب يومياته

مفصلة عن الحياة والأحداث الجارية فى مصر- عبر ثلاثة عقود متتالية: الثلاثينات والأربعينات والخمسينات، وشطرا من ستينات القرن العشرين.

رصد أخبار الشخصيات الاجتماعية كبيرها وصغيرها، كما سجل جميع الأحداث اليومية العامة. وتطرّق إلى كل ما يهم الناس فى حياتهم السياسية والمعيشية والاقتصادية، حتى أسعار المواد الغذائية ومدى توفّرها فى السوق. وعن المرتبات والأجور، كما كتب عن البطالة، وعن اللقاءات السياسية و الاحتجاجات والإضرابات ووقائع البرلمان والأحزاب السياسية وأشهر الموتى والترقيات الوظيفية.

ولما قامت ثورة سنة ١٩٥٢ كتب عن يوميات مصر- بتفصيل دقيق مشتملا على تعليقات الإذاعات العالمية على أحداثها يوما بيوم وساعة بساعة معتمدا على الإذاعة البريطانية وصوت أمريكا وإذاعة الإتحاد السوفييتى . سجل هذا كله بخط يده فى عدد كبير من الكراسات تحتوى على آلاف الصفحات التى تعتبر الآن مخطوطات نادرة فى التاريخ . تحتاج إلى أكاديمى متفرغ يعلق عليها وينشرها فى كتب كمصدر أوّليٍّ للمعلومات عن أوضاع مصر والمصريين فى تلك الفترة من الزمن، لمن أراد أن يعرف صورة دقيقة لمصر ولشعب مصر فى تلك الفترة. عبر ثلاثة عقود.

بعد سنة ١٩٦٠م، بدأت صحته فى التدهور ويضعف بصره. فكان حزنه شديدا، إذ وجد نفسه مُضطرًّا للتوقف عن النشاط والكتابة، وكانت هى سلواه الوحيدة بعد أن تكاتفت عليه المحن: حيث فُجِعَ بوفاة ابنته الكبرى فى حادثة حريق مروّعة، وفى نفس السنة انقضَّت قوات أمن عبد الناصر على ابنه فوزى (وكان من أبرز المجاهدين المتطوعين فى فلسطين) فأودعته السجن بتهم هازلة إذ أنه كان مسؤولا عن توصيل المال لأسر الإخوان المسلمين التى فقدت عائلها الوحيد باعتقاله.

ثم افتقد ابنه الثانى "فتحى" الذى اضطر إلى الهجرة لاستكمال دراسته الجامعية بعد أن حرمته تقارير الشرطة السرية من مواصلة تعليمه فى مصر- ففصلته الجامعة، وتم احتجازه شهورا فى السجن بدون محاكمة ولا تهم واضحة، سوى أنه كان زعيما لطلاب جامعة عين شمس، فى الإضرابات التى كانت تندّد بالاستبداد العسكري والدكتاتورية.

ثلاثة كوارث ألّمت بالرجل فى آخر حياته هدّت قواه البدنية والنفسية؛ فأصيب بمرض السَّكَّرِيِّ الذى أدَّى إلى فقدٍ تدريجي للبصر. ولقد رأيت آخر رسالة كتبها قبل وفاته إلى ابنه فوزى يودعه، بكلمات تبعث على الأسى.

حيث قال: "هذه آخر رسالة لى أكتبها إليك، يابنيّ الحبيب. فأنا أشعر أنى مفارقٌ لهذه الدنيا قبل أن تكتحل عيناي برؤيتك مرة أخرى. أدعو الله أن يفكّ أسرك ويعينك على ما ابْتُليت به."

عن المخطوطة

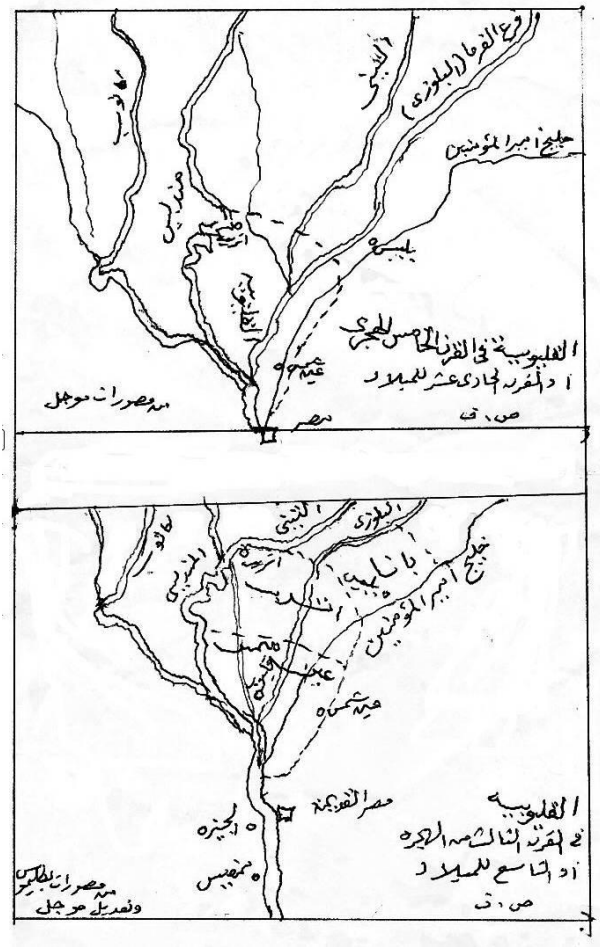
فرع الفرما (البلوزى)
خليج امير المؤمنين
النيل
منديس
بلبيس
القليوبية في القرن الحادى عشر الهجرى
او القرن الحادى عشر للميلاد
ص. ق
مدة مصر ان موجل
مصر
البلوزى
النيل
خليج امير المؤمنين
بانابيه
منديس
بلبيس
عين شمس
مدينة عين شمس
مصر القديمة
القليوبية
في القرن الثالث عشر الهجرى
او التاسع للميلاد
ص. ق
الجيزه
منفيس
مدة مصر ان بطلمس
وتعديل موجل

هذه المخطوطة الصغيرة عن القليوبية لها قصة تستحق الذكر؛ فقد وجدتها بالصدفة فى أستراليا عند الدكتور فتحى فارس ابن الأستاذ صالح فارس. كنت أسأله إن كان لديه شيء من كتابات والده القديمة فقال نعم وأخرج لى ملفّا به كمية كبيرة من الأوراق المخطوطة عن تاريخ مصر القديمة. قال إنه تسلّمها من أبيه خلال دراسته فى ألمانيا وكان بصدد ترجمتها إلى اللغة الألمانية ونشرها هناك. سألته وما اهتمامك بالتاريخ مع أنك كنت تدرس الهندسة .؟ قال:

فى تلك الفترة كانت توجد علاقات متميزة بين مصر وألمانيا، وكان المثقفون الألمان يبدون اهتماما غير عادي بالتاريخ المصري القديم، ويوجهون الكثير من الأسئلة والاستفسارات فى هذا الموضوع إلى السفارة المصرية، فلا يجدون من يسعفهم بالإجابة عليها؛ لأن الملحق الثقافي بها لم تكن له علاقة بالثقافة.

فقد جرت العادة فى ذلك الوقت (خمسينيات وستينيات القرن العشرين) أن يشغل هذه المراكز فى السفارات المصرية ضباط من الجيش: إما مكافأة لهم على خدمات كانوا يقدّمونها للنظام فى عهد عبد الناصر. وإما من الضباط المشكوك فى ولائهم لعبد الناصر فيُخشى من بقائهم فى الجيش. ويُمنحون

هـذه المراكـز لإبعـادهم عـن مصر ـ وتسـليتهم بالمنصـب والمرتبـات الكبـيرة . والامتيازات والتسوّق من الخارج . "

"كـان المسـؤولون فى السـفارة المصرـية يعلمـون اهتمامـى أنـا وزوجتـى الألمانية، التى درست الحضارة المصرية القديمة وتجيد الحديث عنهـا. فكـانوا يوجهون إلينا المستفسرين الألمان. ومن هنا فكرت فى أن يكـون لـدينا مصـدر مكتوب عن الموضوع نرجع إليه. وقد بقيـت هـذه الأوراق فى حـوزتى لأكثر من نصف قرن . "

أخذت أتصفح الأوراق بعناية حتى عثرت يداي على كراسة صغيرة مـن كراسات تلاميذ المدارس مدفونة فى كومة الأوراق. أخرجتها وفتحتها لأجـد مخطوطة عن القليوبية مكتوبة بقلم صالح فـارس. وكانـت المفاجـأة الثانيـة أن أجد اسمى على صفحة العنوان باعتبارى مؤلِّفًا مشـاركًا. ذلـك لأننـى لم أكـن أعرف حتى بوجود مخطوطة للمؤلف بهذا العنوان. رغم أننى ابن أخته وزوج ابنته. وكل ما أتذكره أننى بعد تعيينى فى مدرسة طوخ الثانويـة أمينًـا لمكتبتهـا سنة ١٩٥٨ م شعرت من كثرة أسئلته عن طوخ وعن القليوبية بصفة عامة أنه مهتم بهذا الموضوع .

وهذا أمر طبيعي من أب يريد أن يطمئن على الظروف والبيئة التى ستعيش فيها ابنته وأسرتها. ولم يتطرّق إلى ذهنى -فى ذلك الوقت- شييء آخر خارج هذا النوع من الاهتمام الأبوي. رغم أنه طلب منى تزويده ببيانات مفصلة عن مدينة طوخ ومحيطها الإداري وحيازة الأراضى الزراعية فيما حولها. وغير ذلك من بيانات كان من السهل عليّ توفيرها له من مصادر المكتبة. ومن مجلس مدينة طوخ الذى كان يرأسه -فى ذلك الوقت- صديق عزيز هو المهندس "محمود حمدى سيف النصر".

كان من أبرز وأكفأ من عرفت من رجال الإدارات المحلية وأكثرهم إخلاصًا وعلمًا فى مجال تخصصه؛ فقد كان مهندسًا زراعيا كُفْئًا . كما كان خبيرًا فى تنمية المجتمعات المحلية؛ عن علم اكتسبه فى بعثة سابقة إلى أوربا. وعن دُربة وممارسة فى مصر. أذكر أنه لا حظ اهتمامى بالموضوع وكثرة أسئلتى حوله فضحك مرة وهو يداعبنى قائلا: "أرى أنك عشقت طوخ. ورايح تكتب لنا كتابا عنها.!"

والمهم فى هذا أن مساهمتى فى هذا العمل لم تتعدّى توفير جانب محدود من المعلومات الغزيرة التى أوردها المؤلّف فى مخطوطته. ولكنها أريحية الرجل الفاضل الذى لا ينكر المعروف مهما قلّ. وربما شعوره بالأبوة والصلة

الحميمة فيما بيننا دفعه إلى يقرن اسمى مع اسمه فى تأليف هذه المخطوطة. التى يسعدنى ويشرّفنى أن أضعها اليوم بين يدى القراء.

ولا يمنعنى هذا من أعترف بأننى خلال تحقيقى لهذه المخطوطة وجدت نفسى فى محنة وابتلاء لم أصادفه فى أي عمل آخر للمؤلف . إذ يبدو لى أنه كتبها فى عجلة من أمره أوأنها كانت مجرد مسودة لعمل اعتزم إعادة كتابتها بخطه الدقيق الأنيق كما عهدناه فى كل كتاباته. علاوة على أن ورق المخطوطة قديم يكاد يتهرّأ. وبها أجزاء باهتة اللون يصعب قراءتها.

ولولا مشاركة صديقى الدكتور كمال عرفات نبهان تلميذى السابق فى مدرسة طوخ الثانوية، وحاليًّا- أستاذ علم المكتبات والمعلومات فى جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا بمدينة ستة أكتوبر- لولا جهده ومشاركته فى تذليل الصعوبات- لتعذَّر عليّ تحقيق هذه المخطوطة. لذلك أشعر أننى مهما شكرته فلن أوفِّيه حقه من الشكر . وإنما يشفع لى عنده علاقاتنا الحميمة عبر سنوات من الزمن منذ سنة ١٩٥٨ فى مدرسة طوخ الثانوية، تعززت فى جامعة قطر لعشر سنوات فى عقد الثمانينات ولم تنقطع أواصرها حتى هذه اللحظة.

كتابة المخطوطة يرجع إلى خمسينات القرن العشرين ؛ ومعنى هذا أن المعلومات التى وردت بها تنتمى إلى ما قبل هذا التاريخ ومن الطبيعي ألا يرد فيها أسماء شخصيات هامة ظهرت بعد هذا التاريخ . كما يُفهم ضمنا أن تغييرات كبيرة وقعت بالمحافظة لم ترد فى المخطوطة؛ فقد تغيّرت الحدود الإدارية لما يُعرف الآن بمحافظة القليوبية . وانسلخت منها أجزاء كثيرة أضيفت إلى مدينة القاهرة. وتغيرت أسماء بعض القرى مثل "كفر الخنازير التى تحولت إلى "كفر السباع" كما تحولت تبعية بعض القرى والبلدات من مركز إلى مركز آخر داخل المحافظة .

أكاد أجزم بأن اهتمام المؤلف بالقليوبية يرجع إلى عاملين: الأول هو التلاحم الجغرافي بينها وبين ما يسمى الآن "محافظة الشرقية" التى كانت مجال دراسته واهتمامه منذ وقت مبكر؛ فقد أمضى شبابه وشيخوخته مقيما ومتنقّلا فى بلادها. يخدم فى مدارسها ومعاهدها التعليمية والتربوية معلما ومديرا ومحاضرًا. وناشطا سياسيا وطنيًّا، وكانت تشكل مع ما يُعرف الآن بـ"محافظة الدقهلية " فيما عرف قديما بـ"الحوف الشرقيّ". وقد علمنا أن مسقط رأس المؤلف هو بهوت الواقعة فى نطاق محافظة الدقهلية.

أما العامل الثاني فيرجع إلى اهتمام المؤلف بتتبع العناصر العربية التى تركزت فى سيناء والأراضى الواقعة فى منطقة الحوف الشرقي. والتى شكّلت التركيبة السكانية بها وأثّرت فى تسمية المواقع والبلدات والقرى فيها حتى اليوم.

ولا يفوتنى هنا أن أشير إلى أن أقدم مؤلف كُتب عن تاريخ سيناء وضعه "نعوم شقير" سنة ١٩٠٧. ولأنه كان خلاصة تقرير لبحث ميدانى قام به المؤلف لحساب المخابرات البريطانية لجيش الاحتلال فى مصر- مُنع نشره مؤقتا حتى عام ١٩١٦ ، ثم أعادت نشره سنة ٢٠٠٧م (أي بعد مئة سنة تقريبا) الهيئة العامة لقصور الثقافة، ضمن سلسلة «ذاكرة الكتابة» . والكتاب يتضمن بالفعل معلومات هامة عن جغرافية سيناء وتاريخها منذ أقدم العصور. كما يتناول التركيبة السكانية القبلية بتفصيل شديد ويوضح طبيعة العلاقات العشائرية وأماكن توطّنها وحركاتها. وتسلسلها من حيث التبعية والقيادة .

وهي معلومات تهم أجهزة المخابرات المصرية التى كانت تسعى للسيطرة على سيناء عقب التفجيرات والاضطرابات التى وقعت فى سيناء خلال عهد

مبارك، كرد فعل لعمليات القمع والإرهاب البوليسي الذى مارسته السلطة بشكل عشوائيّ ضد سكان سيناء.

ولكن شتّان بين هذا النوع من التأليف الذى يهدف -أساسًا- لخدمة أغراض أمنية ومؤسسات استخباراتية . وبين التأليف الذى اضطلع به صالح فارس لخدمة أهداف معرفية وفكرية. بغية الوصول إلى الحقائق والكشف عن عناصر التشابه والتواصل الاجتماعي بين مختلف فئات المواطنين. تيسيرًا لسبل الإصلاح والنهوض بالمجتمعات المحلية.

اهتمام صالح فارس فى طبيعته وأهدافه –إذن- شديد الاختلاف عن اهتمام من كتبوا خدمة لأجهزة المخابرات الأجنبية أو المحلية ؛ وسنرى أنه وهو يتتبع العناصر العربية التى تركزت فى الأراضى الواقعة بمنطقة الحوف الشرقي ويكشف عن أصولها وجذورها، إنما لأنها شكلت طبيعتها المتميزة. وتسلسلت منها قبائلها وعائلاتها فى المنطقة حتى اليوم . وسميت كثير من القرى والبلدات الناشئة بأسماء هذه القبائل فبقيت حيّة جنبًا إلى جنب مع الأسماء الفرعونية القديمة. فى مزيج متفرِّد يحاكى طبيعة الامتزاج السلمي الذى اتسمت به الحياة والثقافة المصرية عبر ما يزيد عن أربعة عشر قرنًا من الزمان .

وليبيّن لنا أن هذه التركيبة السكانية الفريدة فى تلاحمها هي التى مكّنت هذه الكتلة المتّسقة من المواطنين على بذل التضحيات الكبيرة فى انتفاضاتها المختلفة عبر التاريخ؛ حيث قاومت الغزاة والدخلاء. وقاومت المظالم، مع كل المصريين مسلمين ومسيحيين، حتى ضد بعض سلاطين المسلمين كما سنرى فى سياق هذه المخطوطة التى تتحدث عن ذلك بجرأة لا موارية فيها . تأسيسًا على حقائق تاريخية موثَّقة. لا مبالغة فيها ولا تزييف. تماما كما عوّدنا الأستاذ صالح فارس فى كتبه السابقة.

نبذة عن محافظة القليوبية بوضعها الحالي

هى إحدى محافظات التَّماسّ مع إقليم القاهرة الكبرى. وتقع شرق النيل عند رأس الدلتا ويحدها من الجنوب محافظتي القاهرة والجيزة ، وشمالًا محافظتي الدقهلية والغربية ، وشرقاً محافظة الشرقية، وغربا محافظة المنوفية، وعاصمتها بنها. وتعتبر مدينة شبرا الخيمة هي بداية الطريق الزراعي السريع لمحافظات الوجه البحري ؛ بمعنى أن محافظة القليوبية هي حلقة الوصل بين محافظات الوجه البحري ومحافظات الوجه القبلي.

تنقسم محافظة القليوبية إداريًّا إلى سبع مراكز، وتسعة مدن ،و٤٦ وحدة محلية قروية يتبعها ١٩٠ قرية و٩٠١ عزبة وكفر. وبلغت المساحة الكلية للمحافظة ١١٢٤ كم٢ بينما تبلغ المساحة المنزرعة (١٨٨.٤) ألف فدان وتمثل ٢.٧ %من المساحة المنزرعة علي مستوي الجمهورية. وتشتهر المحافظة بزراعة الفواكه خاصة الموالح والمشمش والشمام والتين والفراولة .

أهم المدن:

بنها: من القرى الفرعونية القديمة، وتحيط بالمدينة حدائق الموالح في مركزي طوخ وكفر شكر مما يساعد على تربية "النحل" واستخراج عسل النحل منه.

مدينة القناطر الخيرية: يوجد بها قناطر محمد علي ، التى وُضع حجر الأساس عام ١٨٤٧ وتوجد بها قناطر الدلتا التي أنشئت عام ١٩٣٦، وتشتهر بالحدائق المليئة بالأشجار والنباتات والأزهار وهي مدينة سياحية تتميز بمساحة كبيرة من الحدائق تبلغ ٥٠٠٠ فدان.

وبها متحف الرى الذى يضم نماذج مختلفة لوسائل ومشروعات الرى منذ عهد الفراعنة حتى الآن، ومجسمات للسد العالى والقناطر والسدود المقامة على نهر النيل من منبعه حتى مصبه.

مدينة قليوب: وهي مدينة لها شهرة التقاء المواصلات القادمة الى القاهرة من كافة مناطق الوجه البحري.

مدينة أبو زعبل: وهي مدينة مشهورة بالمصانع وبها محطة إذاعة – إرسال– واستقبال – لنقل البرامج الإذاعية للوجه البحري.

مدينة شبرا الخيمة: قلعة من قلاع الصناعة الوطنية. وقد شيد بها محمد على قصرًا باسمه.

مدن: الخانكة و كفر شكر و طوخ. وتشتهر جميعًا بالمنتجات الزراعية وهي غنية بحدائق البرتقال ومختلف أنواع الفاكهة والنخيل والمانجو.

أما مدينة قها فتشتهر بمصانع المنتجات الزراعية والعصائر.

مجالات الاستثمار بالمحافظة:

أما عن مجالات الاستثمار بالمحافظة فهي متعددة وأهمها: صناعة الغزل والنسيج، الصناعات المعدنية، تربية الدواجن، مشروعات التسمين، تعبئة المواد الغذائية ، صناعة البلاستيك، صناعة أدوات التجميل، صناعة الأدوية، صناعة الأجهزة الإلكترونية، تصنيع المخلفات، إقامة مراكز لقياس عادم السيارات والسياحة .

العيد القومي :

اختير يوم ١١ ابريل عيدًا قوميًّا لمحافظة القليوبية لأنه اليوم الذي وضع فيه حجر الأساس لقناطر محمد علي.

الموقع الجغرافى للقليوبية

موقع القليوبية الجغرافي كان دائما موضع جذب للمهاجرين والمستعمرين والمُغيرين الأجانب. الطامعين فى مصر. قديمًا وحديثًا. ومن أبرز ما يميز موقع القليوبية: كثرة ما يخرج منه من الخلجان وفروع النيل والترع. علاوة على خصوبة أرضها وسهولة الوصول إليها شرقًا عن طريق فروع النيل القديمة كفروع البلوسيكي (Pelusiac) والتانيتى(Tanitic) والمنديسي (Mendesian)، المتشعبة من النيل. والرّيّاح الشرقي (التوفيقي) وبحر مُوِيس[بالشرقية] وبحر شبين .

وهي تتوسط بقعة عظيمة بين كرسي الحكم فى مصر قديمًا وحديثًا وبين الأقسام والحصون والقلاع المنتشرة في الشرقية والدقهلية، وفي الصحراء الشرقية من عهود بعيدة.

كانت تتميز في العصور القديمة عن مثيلاتها من المناطق في الوجه البحري، لارتفاع أرضها عما حولها، مما تغمره المياه أيام الفيضان كشمال

الوجه البحري أو تعلو عن المياه فلا تصلها إلا عن طريق المطر؛ كتلال الشرقية والصحراء العربية. هذا الارتفاع النسبي أتاح للقليوبية قدرا أكبر من التقدم الحضاري والازدهار. بيْد أنها كانت في طريق المغيرين من الجهة الشرقية . ولذلك كثرت فيها الحصون والقلاع شأنها فى ذلك شأن بقية المناطق فيما عُرف فى ذلك الوقت باسم "الحوف الشرقي" الذى كان يضم ما يطلق عليه اليوم: [محافظات الشرقية والدقهلية والقليوبية].

ظلّت القليوبية جزءا متمِّمًا للحوف الشرقي بعد الفتح الإسلامي كما كانت جزءًا من أرض حاشان (غسان) في العصور الأولى. ثم سيطر عليها الرمامسة في الأسرتين ٢٠و٢١ بعد العمالقة. ثم احتلها الرومان بعد العجم [يقصد اليونانيين]. ثم استقرت وصارت من العروبة إثر الفتح العربي. وكان لها دور عظيم في الحروب الصليبية. ومكافحة التتر ومحاربة الترك (في بركة الحج) كما سنرى.

متى ظهرت هذه البقعة المباركة؟

ظهرت هذه المحافظة بظهور أول قدم وطئت فيها الأرض الشرقية. لقد شاء قدرها فى هذا الموقع الجغرافي أن تكون عبر العصور المتعاقبة في طريق العواصم القديمة: من الفرما فى أقصى الشرق، إلى ممفيس أو ميت رهينة أو

طيبة أو مصر القديمة أو القاهرة. أيًّا ما كان إسم العاصمة في مصر.. قديمًا وحديثًا.

بيد أن المؤرخين تنازعوا هذا الزمن بفروق واسعة فقال أوسريوس[١] usher الأيرلندي إن بين استعمار هذه البقعة وبين ميلاد المسيح أربعة آلاف سنة وقدره فِلندرس بتري[٢] Petrie بسبعة آلاف سنة ثم عدل من رأيه بعد أن عثر على تمثال من العاج بأسيوط وقدّر هذا الزمن بعشرة آلاف سنة. ويرى مؤرخو الأمريكان أن هذا الزمن يقدر بثلاثين ألف سنة حين كان ثمة صناعة وعلم وحكمة.

ويرى مانيتون Manethon[٣] المؤرخ المصري أن بين مينا مؤسس الحكومة المصرية الأولى وبين ميلاد المسيح ستة آلاف سنة، ويجاريه المقريزي في هذا الرأي؛ إذ يقول إن فليمون الكاهن خرج من تنيس بعد اجتياز منطقة أون (عين شمس) ولحق بنوح . ورأى هذا الرأي الطبري وابن خلدون وكلا هذين المؤرخين يقول إن أخنوخ المعروف بإدريس الرسول عاش بهذه البقعة

(١) اوسريوس مؤرخ إيرلندي توفي سنة ١٦٥٦م

(٢) فلندرس بتري: مدير الجامعة الإنجليزية للآثار المصرية وقد مكث طويلاً في مصر وتوفي ١٩٤٢م.

(٣) مانيتون: مؤرخ مصري من مدينة سمنود ؛ كان كاهنًا في عهد الملك بطليموس الثاني" حوالي ٢٨٠.ق.م" كلفه بكتابة تاريخ مصر القديمة؛أخذ مانيتون هذه المهمة على عاتقه واعتمد في كتاباته على الوثائق المحفوظة بالمعابد المصرية بالإضافة إلى كل ما وجده في متناول يديه من وثائق الإدارات الحكومية وغيرها. (المحقق).

طويلًا. وسمي بهرمان الحكيم.

ويرجح كثير من المؤرخين وجود حكومة منظمة في هذه البقعة بل يزعمون أنها كانت أقوى حكومة ظهرت على مر العصور؛ ربما يرجع السبب فى ذلك إلى أنها كانت بمثابة الجبهة الأولى للدفاع عن مصر فى وجه الغُزاة والمُغيرين والمهاجمين والأعداء.

ولعلماء طبقات الأرض (الجيولوجيين) آراء عريضة في القليوبية خاصة والشرقية عامة ؛ وتتلخّص آراؤهم فى أن بدء وجود الجنس البشري في هذه البقعة يرجع إلى مائتي ألف سنة من عهد ما قبل التاريخ، في الوقت الذي كانت فيه البلاد الأخرى حياضًا ومستنقعات تسبح فيها التماسيح وتجري فيها الوحوش. وكانوا يسكنون الكهوف والمغارات.

ولكن القليوبية وما حولها كانت تتمتع بحضارة بدائية ؛ بدأت [بالصيد] ومطاردة الوحوش بأسلحة حجرية. وكانوا يزرعون وقت الفيضان. كما زرعوا قديمًا بمياه المطر عند الجفاف . وقد عرفوا القبائل والعصبية. ثم استأنسوا الطيور والحيوان مثل البقرة والخيل والحمار. ثم عرفوا التجارة مع جيرانهم واتخذوا مساكنهم في الروابي والتلال السهلة البعيدة عن المستنقعات.

ووصفهم هيرودت ومانيتون بسواد الشعر وجمال الخلقة والذكاء والميل إلى التقدم، وكان الرجال يلتحفون جلود الحيوان. ويلبسون المآزر وهي لباس يغطي النصف الأسفل من الجسم ، وكانت من الجلد ثم اتّخذوها من الكتان. وأما النساء فكان لباسهن[1] رفيعًا من نسيج الكتان أيضًا . وقد لبِسْن النعال واستعملن الوشم ونقش الوجه بلون أسمر (تواليت) ومشطن شعورهن.

ثم شيد المصريون مساكنهم بالطوب اللَّبِن (الطين المجفّف) وغصون الأشجار. واستعملوا الملاعق من الحجر والعاج. ونقشوا عليها بعض الصور. ونحتوا التماثيل وصنعوا الفخار السميك لحفظ الأطعمة. وها هي آثار هذه المنطقة (فى القليوبية والجيزة) - تظهر في منتصف مايو سنة ١٩٦٢ (في هذه الأيام) وقد كشف عن هذه الآثار جامعة القاهرة بجوار الهرم الأكبر؛ وكان منها ٢٨ مصطبة تنتهي بسرـاديب حجرية. تضمُّ تماثيل رائعة. وأوانٍ ضخمة (جِفان من الفخار) وتمثال للزعيم أوهاي[2] وزوجته.

وقد مَهَرُوا في النقش والنحت والزراعة والصناعة وبنوا السفن وطعموا أيدي الآلات بالعاج والمعادن كما نرى في آثار تل أتريب الذي يجاور بنها وإن

(١) موجان وتبري وآثار منطقة أتريب

(٢) نشرة دار الآثار المصرية والصحف فى ١٣ من مايو سنة ١٩٦٢

كان الآن أرضًا زراعية. ولكن أخرج من بطنه كنوزًا حضارية رائعة تدل على أن التقدم والحضارة والمدنية كانت تسود هذه البقعة المباركة.

غير أن معظم هذه الآثار عصفت عليها الرياح فطغى عليها الرمل من الشرق. وطمي عليها االغِرْين (الطَّمْي) في أيام الفيضان فجعل معظمها في خبر كان. لقد طمستها عوامل التغطية أكثر من عوامل التعرية؛ لوجودها بين جبال الصحراء العربية والتلال الشرقية كما نعرف بذلك في علم الجيولوجيا. وكان رمز هذه البقعة قديمًا هو زهرة اللوتس.

أتقن سكان هذه المنطقة: علوم الفلك والنجوم وعرفوا الأيام ومواعيد الزراعة. وعرفوا شهور السنة الإثنيْ عشر . وكانت عاصمتهم شمال أتريب في أرض رفعوا بناءها على الرمل. ولكن الرمل أنهار فنقلوا العاصمة إلى سايس وهي صالحجر بمحافظة الغربية ثم إلى (بوتو) وكانت حامية المدينة قرب دمنهور.

فأما من ناحية العقائد الدينية فقد كانوا يؤمنون بالبعث والنشور واليوم الآخر. كما كانوا يؤمنون بالله حق الإيمان . ولم يعبدوا الحيوان. وأكد كثير من المؤرخين أن شيث الرسول المعروف في التاريخ باسم شيش[1] كان قاطنًا بهذه المنطقة.

(١) المثيلوجيا لبروكسن ج٢. والحضارة الخالدة ل صالح فارس

وقد تفرد الأستاذ هورنر Horner المؤرخ الجيولوجي برأي أثري يكاد يكون مقبولا في تقرير ذلك الزمن، حيث يقول: إن الأتربة الناجمة حول مسلة عين شمس (وكانت قسمًا من هذه البقعة وكورة لامعة من القليوبية) هذه الأتربة التي هي من عوامل الارتفاع على سطح الأرض وهي ضد التعرية، وقد بلغ ارتفاعها أحد عشر قدمًا ، ورأى أن أعمق بقايا إنسانية أثرية على عمق ٣٩٠ قدمًا، وان إنشاء المسلة كان قبل الميلاد بنحو ٢٣٠٠ سنة؛ وبذلك يكون عمر الحضارة في هذه المنطقة (محافظة القليوبية وما حولها) ثلاثين ألف سنة أو يزيد على ذلك بعشرات السنين.

ومن آثارهم فى ذلك العصر القديم قبل التاريخ: المحاكم والتشريع والفلك والأيام والشهور. السنوات الشمسية. والقوانين والملابس الرقيقة والجلود والنعال والمساكن الصحية. وأدوات الزينة والأسلحة الحجرية والأواني الخزفية. وقد تحدث المؤرخ بِتْرى –بإفاضة– عن روعتها وجمال نقوشها وصوَّرها المؤرخ مورجان تصويرًا رائعًا. ومعظم هذه الآثار يبدأ سجلّها في المتحف المصري (دار الآثار) بأرقام ٤٢ وقد محا الزمن كثيرًا منها.

في الأسرة الأولى:

تقدمت الحضارة وتطاول عليها الزمن حتى برز الأقوياء في مصر بحكم تنازع البقاء. وقسموا الشعب ثلاثة أقسام أو طبقات: طبقة الملوك و الأمراء. وطبقة الكهنة. ثم طبقة العبيد: وهم جملة الفلاحين والجنود. وقد أُتخم الملوك والأمراء والكهنة بأموال الشعب. طغى الأُقوياء على الضعفاء. وتركوا الأمة في مجاعة وعُري وبؤس، حتى ظهر مينا (مينيس). جاء من رحم ثورة ساندها الشعب المقهور ضد أولئك الظالمين الجشعين. فأباح دماء الملوك والأمراء والكهنة. وجعل حكومته خادمة للعدالة الاجتماعية؛ فقد حرص على أن يحرر الفلاحين من السخرة التى كانت تفرض عليهم أن يزرعوا ويخدموا فى الأرض لحساب أولئك الطامعين الظلمة ليبقى الجوع والعري والمرض من نصيب الشعب العامل.

وقد حصّن مينا حكومته في مدينة طيبة فى صعيد مصر. قرب العرابة المدفونة، ثم أنشأ مدينة ممفيس (منف) التي لا تبعد كثيرًا عن منطقة القليوبية ولا يفصلها عنها سوى النيل. ثم وحّد الوجهين البحري والقبلي وحول فرعًا من النيل إلى الصحراء الليبية. وقد كثر عمرانها في ذلك العهد. وتعاونت الأمة مع رئيسها العادل الذي أنقذها من مخالب الظالمين.

وشرع المصريون كعهدهم دائما -عندما يشعرون بالاستقرار- فى ممارسة صناعة الحضارة؛ فبرز أثاث المنازل الخشبي المطعم بالعاج، والأثاث الحجري المصقول صقلًا رائعًا متقنًا . وظهرت الأواني النحاسية والحُلِيّ.

واتخذ الملوك وزراءَ وأعوانًا لإدارة الحكومة العادلة المنظمة. ولم يكن مستغربًا فى ذلك الزمن أن ترى الملوك يشقون الأرض بالمحاريث. كما يظهر من صورهم في دار الآثار المصرية. وتجلت الدقة فى صناعة الأواني والآثار القيِّمة والحلي الذهبية والمراكب الخشبية المتقنة الصنع، كما نرى فى "وصف مصر وآثارها صفحة ٧٥ – ٨٥" وفي دار الآثار أيضًا.

الأسرة الثانية:

كانت القليوبية وما حولها في الأسرة الثانية مرفوعة الرأس لانتقال العاصمة إلى جارتها "بوباستس" (بالقرب من الزقازيق) وتعاونت المنطقة الشرقية كلها مع العاصمة الجديدة. وقد اتخذ التطوّر الحضاري منحًى جديدًا؛ استطاع المصري فيه أن يطوّرَ العلوم الرياضية والقوانين التشريعية والوصفات الطبية. وأُنشئت المدارس في أون (عين شمس) من هذه المحافظة، لدراسة الطب والفلك والجغرافيا. واقتبس اليونانيون منها ما شاء الله لهم أن يقتبسوا [1].

وستجد فى المتحف البريطاني من هذه الآثار المصرية أول رسالة طبية لمعالجة الصرع. وغيره من الأمراض التي كانت في محيط البلاد. وكان المتخرج في هذه المدارس يحمل مؤهلات بألقاب مختلفة مثل: العالم الفلكي. أو الطبيب العارف بأحوال النفس. أو الطبيب العالم بالتشريح ، أو العالم بالأسرار الخفية..

وأما الزراعة فقد بلغت مبلغًا عظيمًا من التقدم؛ حيث ابتُكرت الفئوس

(١) الدُّر الثمين لأحمد كمال ص١٨ والرقي الفكري ص ٢٤١ وحضارة مصر للمؤلف (صالح فارس).

لأول مرة [1] وعرف الفلاح المصري زراعة الذرة العويجة. ونظم العلماء الفلك من مسيرة الشعرى اليمانية. وسمُّوها "سبت" أو "فاقوس". وعرفوا الحساب العشري والمساحة . وبلغت ميزانية البلاد مئة مليون دينار فرعوني.

وظهرت الآثار الرائعة في ذلك العهد مع نشاط التعدين والبعثات إلى سينا لاستخراج المعادن والفيروز. وكان من ملوك هذه الأسرة الطبيب ستنس Stans الذي أتم الرسالة الطبية وأخضع جميع القبائل لسلطانه واهتم بالعبادة والتشريع كما اهتم بالموسيقى والأغاني وابتدع في ذلك العصر لعبة النرد (الطاولة). ورياضة الكرة والرقص والصيد. وبنوا أول هرم مبسط كقبر مرتفع قليلا . واشتملت القوانين فى زمن هذه الأسرة على قوانين تسمح للمرأة بحق اعتلاء عرش البلاد.

ودار الآثار مشحونة بآثار هذه الأسرة؛ ستجد بينها أصداف مرصعة بالذهب (تحت رقم ٤٠٠٨ بالمتحف) وأحجار للنرد. وتمثال من الجرانيت الأحمر وعليه أسماء ملوك الأسرة الثانية (برقم ٣٠٧٢) وتماثيل للحيوان (أرقامها بعد ٦١٢١ بالمتحف) ومجموعة من الحلي الملكي نادرة الوجود(٢).

(١) ورنر وبتري ص١٤٤ والمحيط التاريخي لصالح فارس . ص ١٣ج٣

(٢) قطف الأزهار ص ٥٣

الأسرة الثالثة (٤٤٤٩ – ٤٢٣٥ ق.م):

عاد مقر المُلك إلى مقربة من القليوبية بعد انتقال العاصمة إلى ممفيس وقد تعاونت القليوبية مع ممفيس جارتها . وكانتا معا تُعتبران كعْبتين للعلوم والحكمة. تجلّى فيهما إتقان الكتابة بالخط الهيروغليفي. وبرزت عظمة المعمار فى المباني. كما شادوا[١] المصاطب والقبور الهرمية وابتكروا أبا الهول . الذى كان يرمز إلى قوة العلم والحكمة والبأس [٢] فقد صُمِّم برأس كرأس إنسان قوي المعرفة في جسم أسد قوي الأعضاء. شديد البطش. وشادوا الأهرام المتوسطة وأتقنوا النحت وأبرزوا الحليّ الرائع وطعموه بمعادن أخرى وأحجار كريمة وخلفوا آثارا قيمة كثيرة.

الأسرة الرابعة:

كانت روعة الأسرة الرابعة في آثارها الشاهقة ومبانيها الخالدة وها هي ذي الأهرام الثلاثة تنافس الدهر في الخلود وبقائها إلى اليوم الموعود، أنها في تخوم القليوبية وليس بينهما حواجز مانعة سوى النيل الذى يعبره الناس بوسائل شتى.

(١) بتلر و برستد ص ٧٣

(٢) من حماقة نابليون أنه أقدم على تهشيم أنف أبى الهول بمدافعه خلال الحملة على مصر سنة ١٧٩٧م وقد تم أصلاحه في هذا القرن ببضعة آلاف من الجنيهات.

إن في بناء الهرم الأكبر لعجبًا عجابًا. إذا دخلته تجد فى أسفل هذا البناء البالغ الضخامة سردابًا متدرّج الانحدار ينتهي فى أعلاه بالمقبرة الملكية، التي أرادوا مواراتها عن أعين الناس. ولكنها نمَّت على نفسها وبرزت إلى الوجود تتحدى مهارة المهندسين . وفى خصائص هذا المبنى الأثري المذهل حدّث ولا حرج:

حدّث عن ارتفاعه الذى بلغ ١٣٨ مترًا. وعن امتداد قواعده المضلعة إلى مئتي متر. وعن انحدار سراديبه إلى أبعاد متباينة. وحدِّث عن وسائل رفع أحجاره الضخمة إلى علو عشرات الأمتار. وعن كسوته بالحجر الأبيض المصقول اللامع. الذي انتزعه السلطان حسن وبنى منه مسجده في عصر المماليك.

إن في ذلك كله لروعة كُبرى وهمة عظيمة. ولكن لا تنسى أن تسأل من أين جاء البناءون .؟ وانّىَ للعمال بهذا النجاح والاتقان.؟! ألم يكونوا أبناء القليوبية والجيزة.؟ ألَمْ يكونوا هم أقرب الناس لموقع البناء.؟! فتضافروا فى إبراز هذا العمل الرائع.؟ ألم يصبروا ويصابروا ويثابروا ويتقنوا هذه الأعمال التى تشبه المعجزات عشرين عاما متوالية.؟ لله درّ أبناء القليوبية والجيزة

الذين سجلوا بعرقهم، وبصمات أيديهم على كل حجر من أحجار هذه الآثار المصرية التاريخية الخالدة. التى ما تزال تجذب أنظار الدنيا إلى عظمتها وروعة بنائها وتصميمها.

أعتقد أنه لا ينبغى أن نترك هذه المعجزة الأثرية وتلك الفترة المثيرة بإنجازاتها الخارقة تمر بنا دون أن نعرف كيف كان أباؤنا القدامى بالقليوبية والجيزة وغيرهما. كيف كانوا يرفعون هذه الأحجار الثقيلة التي يبلغ ضلعها ذراعًا مصريًا قديمًا أي نحو متر في المقاييس الحديثة وكان وزن الحجر أكثر من ألف كيلو جرام وأكثر.؟!

كيف كانوا يرفعون هذه الأحجار إلى علو عشرات الأمتار.؟! لعلّنا لا نبعد عن الحقيقة كثيرًا إذا تصوّرنا أنهم استوْحوْا من (أبو الهول) عقليته الجبارة. وانتزعوا من رأسه قوة التفكير. فقد كانوا كلما بنوا صفًّا من الأحجار رفعوا حوله الرمال . ثم وضعوا عليها الأخشاب التي يزلقون عليها تلك الأحجار بالجر إلى الأمام والدفع من الخلف حتى يصلوا بها إلى بناة الهرم !! لله ما أعجبَ هذه العقول وما أصبرها على الشدائد وما أثبتها في هذا العناء الشديد.!!

لقد تعلمت القليوبية من ذلك الثبات والصبر والقوة فوقفت الوقفات المشرفة في الدفاع عن البلاد. وفي شرف الجهاد وكان منها القادة الأمجاد.

وهكذا أتم خوفوا الجبار هرمه الجبار. وتلاه خفرع ومنقرع بهرميهما المتاخمين للهرم الأكبر بالجيزة.

ثم تعالوا بنا واشهدوا بناء معبد فتاح في هذه الأسرة وأعجبوا بما فيه من القواعد الهندسية. والعقود الحجرية التي ابتدعوها حين ذاك، تعالوا وأعجبوا بمخلفات هذه الأسرة من الأهرامات واللوحات الحجرية والتماثيل الرائعة والتوابيت الجميلة وتحنيط الجثث بمواد لا تزال كالطلاسم تحير العقول فى اجتلاء أسرارها . ويعجز العباقرة عن تقليدها حتى الآن .

الأسرة الخامسة:

لئن تناءت الأسرة الخامسة في أسوان فإن نفوذها أمتد إلى الوجه البحري وأناره بالمعابد والعبادة والحياة الزاخرة . وكانت القليوبية دائما هي قنطرة الذاهب والآيب من طورسينا إلى الوجه القبلي. وفى عهد هذه الأسرة أُسْتُخرجت المعادن وُشقَّت الجبال وقُدَّتْ أحجارها لبناء الهياكل ونحت التماثيل. وقد خلفوا آثارًا قيمة بسقارة وغيرها. وتركوا لنا أروع التماثيل

والرسوم. والحُلِيّ البديع من الذهب والعاج ؛ نراها اليوم مبعثرة في متاحف البلاد الغربية. ولكن سنجد بقاياها فى المتحف المصري مسجّلة بأرقام مختلفة تبدأ من ٤٥ إلى ٢٣٥..

الأسرة السادسة وما بعدها (عصر الظلام):

انتهت الأسرة الخامسة بتدخل الكهنة في إدارة البلاد طامعين في أرزاق العباد . كما حاولوا اغتصاب الملك من أربابه وانتهى الخلاف بأن جعلوا بعض الكهنة ملوكًا ومن هنا اشتد الخلاف وبرز الإتلاف والفساد وتلاشى الائتلاف. وتقلَّص ظل البلاد وتصرَّمت المستعمرات من الحبشة والصومال والسودان ؛ فكانت في مد وجزر حتى انتهت بمشكلات غامضة وتلاها غموض أشد.

لقد بخل علينا التاريخ بسجلات الأسرات التي تلتها وهي من السابعة إلى الحادية عشرة؛ توارى تاريخها في بطون الأرض فلم يظهر فيها نور يضئ لنا السبيل إلى معالمها أو يكشف الستار عن آثارها. ولكن المستقبل كفيل بإخراج أثقالها ومعرفة أحوالها.

[ورغم الغموض الذى لفّ القليوبية فى تلك الحقبة الزمنية فإن ما ظهر لنا من آثار تاريخية. وما عرفناه من وقائع وأحدث . وبالاستنتاجات الفكرية- من مجمل كل هذا، نستطيع أن نحكم بأن القليوبية كانت كغيرها من بلاد الوجه البحري في شبه استقلال غير منقوصة فى حظوظها من الحياة العزيزة الكريمة] [1].

(١) هذه الفقرة من صياغة المحقق لعدم وضوحها فى المخطوطة

الأسرة الثانية عشرة

(قبل الميلاد بألفي سنة)

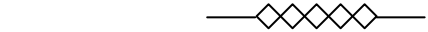

بدأت هذه الأسرة في طيبة برجل حازم اسمه أمينمحتب. استطاع أن يسطر على جميع البلاد؛ فأعاد المجد لمصر بإصلاحها والتفرغ لمزارعها ومصانعها وتجارتها وآثارها. ثم طفق يفتتح البلاد؛ وبدأ بالسودان والنوبة حتى وصل إلى منابع النيل ثم أخمد الثورات الليبية بمساعدة ولده سيزوستريس.

وفى عهده حاول بعض الأسيويين غزو مصر عن طريق الشرقية التي تحالفت مع القليوبية في الدفاع عن البلاد حتى طردوا الغزاة عام ١٩٧١ ق.م . وظهرت القصص الرائعة في الأدب المصري؛ سجّلها التاريخ فى صفحات برديّاته وحفظها لنا. نعرف اليوم من روائعها قصة سنوهي بن أمينمحتب؛ الذى هرب بعد موت أبيه إلى أسيا في ظروف غامضة. وعاد في لواء أخيه سيزوستريس الملك برسالة فيها مثال رائع من الأدب وحب الوطن . بدأها

بقوله: "تركت بلدي عاريًا وصبرت حتى صرت غنيًا ولكني لا أرضى بوطني بديلاً"[1].

لا شك أن هذا الشاب الوطني الذي فر في تلك الظروف الغامضة مر بالقليوبية واستمد منها طعامه وهو هارب جائع. وقد حفظ الجميل لتلك البلاد وردّهُ لأهله بعد عودته.

اتسعت البحوث العلمية فى هذه الأسرة. وكُتبت القصص الأدبية خِصيصًا لتدريسها في المدارس . وهذه نقلة حضارية غير مسبوقة.

ومن أعظم آثار القليوبية في هذه الأسرة الثانية عشرة مسلة المطرية بجوار عين شمس وكلتاهما من القليوبية حين ذاك.

ارتفاع المسلة عشرون مترًا وهي من آثار الملك أوستريش أمام معبد الشمس، وكان بجوارها مسلة أخرى كانت معروفة وثابتة في مكانها إلى القرن السادس الهجري (الثالث عشر الميلاد) وقد شهدها المؤرخ الرحالة عبد اللطيف البغدادي الذي وصفها وصفًا دقيقًا. وكان عليها نقوش ترجمت بما يلي:

(١) هذه القصة مسجلة على أكبر قطعة حجرية بالمتحف تحت رقم ٢٥١١

"إن الملك المنصور صاحب التاجين ومحب الشمس أوستريش قد نصب هذا الأثر في العيد الرسمي تخليدًا لذكراه". وقد تمت سرقت هذه المسلة الأخيرة (ضمن ما سُرق من آثار كثيرة) لتستقر فى متاحف أوروبا.

ومن مخلفات هذه الأسرة تماثيل وتوابيت من المرمر وصناديق مكعبة رائعة. تجدها فى المتحف المصري مسجلة بأرقام (من ٣٠٧ – ٣١١).

الأسرة ١٣ وما بعدها

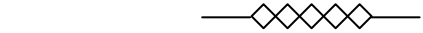

شاعت في ختام الأسرة الثانية عشرة نبوءة "أيبور" التي تقول: أن مصر ستقع في محنة ويغزوها الأجانب. ثم يثور مصري شجاع ضدهم ويخرجهم من البلاد، وقد تحققت هذه النبوءة فى عهد الأسرة ١٣ التى ظهر في إدارتها انحلال وتراخٍ. وتُركت شئونها للغرباء حتى وفد إليها أناس من بقايا قوم عاد ؛ وهم العمالقة الهكسوس الذين آمنوا بهود ونجوا من عذاب الأحقاف وهربوا إلى أشور شمال سوريا ثم وصلوا إلى الوجه البحري واحتلوه بما فيه القليوبية . ولكن كان الاحتلال فى هدوء وسكينة مصحوبا بدعوة وإرشاد للناس بترك الإشراك فى العقيدة. والإيمان بالله وعبادته حق العبادة .

ورغم التحلل الإداري الذى أصاب مصر فى عهد الأسرة ١٣ فقد تركت هذه الأسرة آثارًا هامة من التماثيل واللوحات الحجرية ومجموعة من الحلي النادر. بلغ تعدادها ٣٢٢ قطعة . أرقامها بالمتحف المصري (من ٣٨٩٨ إلى ٤٣١٩).

وفى الأسرة الرابعة عشرة استمرّ تدهور الإدارة فى مصر وساءت أحوال الناس. مع اتجاه واضح إلى الانحلال. صاحبه غزو متواصل من الآسيويين الذين تمكّنوا من السيطرة على أجزاء من شرق مصر. عانت فيه البلاد من الحروب والاضطرابات.

الأسرات ١٥، ١٦، ١٧

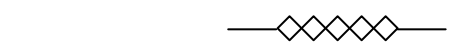

تجلى سلطان العمالقة في الأسرة الخامسة عشرة بعد أن احتلوا الوجه البحري وسيطروا عليه وحاصروا الوجه القبلي وكانت القليوبية من أهم الحصون التي اعتمدوا عليها في الدفاع والإمداد بالرجال والمواشي والأموال واشتد بطشهم بعد أن رأوا عناد المصريين معهم في العبادة والاعتقاد والإيمان حتى ظهور سلاطيس (الضحاك) الجبار حول القليوبية وكان له كرسي في هوراه المعروفة بأوريس بجوار بوباستس وعلى مقربة من القليوبية كما كان له كرسي آخر في إتريب (بنها).

وقد نظموا الملاحة بين أتريب وبين الفرما في الشمال الشرقي للوجه البحري (شرقي بورسعيد الآن) وكانت السفن تعبر فرع النيل البوليسكي من الفرما إلى أتريب في هدوء وسكينة حاملة الناس والتجارة بين هذه البلاد. حتى وفد إبراهيم الخليل الرسول على سلاطيس الذي جعل جيشه من الأسيويين؛ فقد استدعى ربع مليون أشوري (شمال سوريا) من المؤمنين برسالة إبراهيم ومن كان قبله وجعل منهم قوة حصينة للدفاع عن مصر.

جاء إبراهيم والسيدة سارة الجميلة وقد ظنها سلاطيس فارغة وحاول أن يتزوج منها ولكنه تراجع بعد أن عرف أنها زوج إبراهيم الخليل . وقد منحه الملك غنمًا وأموالًا كثيرة وأعاده مع زوجه مكرّميْن بعد أن اهدى لهما هاجر وهي من بيت الملك ومن الفرما. فكان لهاجر من إبراهيم ولد سَمَّوْه إسماعيل؛ الذي كان من عقبه محمد ﷺ.

توطد سلطان العمالقة العرب طويلًا في أتريب (بنها) وفي أون بعين شمس وكلاهما من القليوبية . وكانت أون –كما سبق أن ذكرنا– كعبة العلوم في ذلك الزمن؛ تخرّج فيها عباقرة في الفلسفة والتوحيد والدين والطب من جميع أبناء البلاد. الذين جاءوا لتحصيل العلم والمعرفة.

وقد امتدت إمبراطورية العمالقة امتدادًا هائلًا واسعًا لتضم إليها: بغداد والعجم والأناضول واليونان وكريت والسودان والحبشة، كل أولئك كانوا من توابعنا ويستمدون الإدارة من أوريس (هوارة) بالشرقية كما يستمدون العلوم ويقتبسون الثقافة من القليوبية (أون).

وفي ذلك العهد كانت المجاعة التي تصدّى لها يوسف الرسول بن يعقوب عليه السلام، من موقعه كوزير للاقتصاد في مصر. وقصته معروفة في

التوراة (ص٣٩ من سفر التكوين، ٢٥ من التثنية) كما هي مسجلة -بأروع بيان- فى القرآن الكريم . وهي من أحسن القصص وأروعها؛ فقد فاقت جميع القصص الخيالية والواقعية الحقيقية: ففيها الكيد والحسد والخداع والغرام والظلم والحزن والبلاء وأدب الحب. حتى تبرز الحقيقة ويتحول الموقف إلى إكرام وتمجيد وفرج ولقاء بعد يأْس. وعفو بعد جفاء. ورفقة وهناء. وكل هذه الوقائع وما انطوت عليه من عواطف إنسانية ومشاعر متباينة من صميم الدراما الحديثة.

كانت معظم أحداث هذه القصة تجري بالقليوبية والشرقية ولما تزل آثار مخازن الغلال باقية بالمطرية وعين شمس وبلبيس وغيرها. وقد أكد بعض المفسرين كالسيوطي أن يوسف أقام في البلاد المصرية بعين شمس كما قال أن خروج موسى من مصر كان من هذه المدينة نفسها التي تعلم بها.

وبقيت القليوبية محتفظة بما ورثته من عصر العمالقة: من الخيل والفروسية والعجلات وقيادة الجيوش حتى عصر المماليك. والمتتبع تاريخها العميق يعلم أن التاريخ سجل لهم كل هذه المآثر.

الأسرة ١٨

كان للعمالقة بقايا وآثار في الوجه البحري بعد ثورة أحمس الذي طاردهم من الوجه القبلي ولم يتغلب عليهم في الوجه البحري حيث أقاموا هناك زمنا طويلًا . ثم انتشروا تجاه يهوذا أرض غزة وتارو (القنطرة) وسكوت (الإسماعيلية) وفلسطين وأشور (سوريا).

كان لِوُفودِ العمالقة إلى مصر أثر عظيم في الدين كالابتعاد عن الشرك وتطهير المعتقدات. وفى المجال العسكري: بنشر العجلات والعربات والخيل ومعرفة أساليب جديدة من الحروب مثل الكرِّ والفرِّ والقلب والحصار (الكماشة) وغير ذلك مما لا ينكره المصريون؛ ولكن الاحتلال مهما كان مذلة واعتلال.

ولذا ثار عليهم أحمس ونهض معه المصريون في نضاله وكفاحه وعاونوه فى تحقيق العدالة للشعب المصري. وقد أكّد هذا الأستاذ مارين دايْرين المدرس بالحقوق في جامعة القاهرة سابقا حيث قال: "لقد أصبحت مصر

بعد هذه الثورة دولة للعدالة الاجتماعية قضت على العادات التقليدية المتبعة في وراثة العرش الفرعوني. ونزعت الصفة الدينية للملوك. كما قامت بتحجيم سطوة كبار الموظفين. وإلغاء التوريث في المناصب والأملاك الزراعية والعقارية. ومَحَتْ بذلك الفوارق الاقتصادية والطبقية بين أبناء الشعب.

وهكذا نجحت الثورة فى نشر العدالة الاجتماعية لأول مرة في البلاد المصرية وكان ذلك سنة ١٥٨٢ قبل الميلاد .

ومن ملوك هذه الأسرة الملكة حتشبسوت التي فتحت بلاد عدن (بون) واليمن وأنشأت مسلتين وكلّلتْ رأسيْهما بإكليليْن من الذهب. وكانت كل مسلة قطعة واحدة من الحجر. ولا تزال إحداهما قائمة بالكرنك. أما الثانية فقد سرقها نابليون ليزيّن بها ميدان الكونكورد فى باريس.!

خلَفَ الملكة حتشبسوت تحتمس الثالث الذى غزا العراق وبابل وأنشأ مسلتين بالمطرية (قليوبية) ولكن كليوباترا نقلتهما إلى الإسكندرية.

في هذه الأسرة ظهر الملك الصغير توت عنخ أمون الذي تربع على العرش بعد إخناتون زوج نفرتيتي . أَيده الكهنة بأموالهم التي اغتصبوها من

الشعب ليعزِّزُوا مركزه. ويقبله الشعب ملكًا على مصر.

وقد اشتهر بآثاره الكثيرة وأمواله الغزيرة التي أُحْصِيَ منها بدار الآثار نحو ألف ومئتي قطعة أثرية . كل قطعة منها تتفرّد بروعتها وبهائها. و قيمتها . حتى قدَّر بعض الخبراء إحدى عِصِيِّهِ الزبرجديّة بأكثر من مليوني جنيه، وكانت هذه بعض هدايا الكهنة له ليغروه على تغيير عقيدة التوحيد التى جاء بها إخناتون إلى مصر. ومن وسائل غوايته وإغرائه سمّوْه "توت" ومعناها مصدر الخصب والثروة. و"عنخ" بمعنى الواسطة ، و"أمون" أي الإله الأعظم المحتاج لواسطة (وهم الكهنة طبعًا).

ولم يدم ملك توت عنخ أمون سوى ستة أعوام فقط . وقد مات في ظروف غامضة . زعموا أنه مات بالسل الرئوي.

وفتح مقبرته الأثريَّان: كارتر وكارْنا فور، اللذان سلبا منها ما خف حمله وغلا ثمنه. وفي ذلك يقول الشاعر أحمد شوقي:

أمن سرق الخليفة وهْوَ حيٌّ يعفّ عن الملوك مُكَفَّنِينا

ويعني شوقى بالخليفة "عبد المجيد بن محمد رشاد" آخر خلفاء العثمانيين الأتراك، وقد سرقه الإنجليز وحافظوا عليه من أيدي الثورة التركية الكمالية.

أما ما تبقى من آثار الملك توت عنخ أمون فموجودة في الطابق العلوي لدار الآثار وتبدأ بأرقام خاصة من واحد إلى ١١٨٣ . بالإضافة إلى تماثيل كبيرة مبعثرة في جهات مختلفة. ومنها تمثال عُثر عليه سنة ١٩٠٤ بجهة أتريب. ورقمه بالمتحف ٤٥٧ ، كما أن بعض هذه التماثيل وجدت في البقعة ما بين المطرية وأتريب . ومعظم أرقامها ما بين ٤٥٨، ٥٠٧ ، ومنها بعض تماثيل لبنات أخناتون وهن أخوات زوج توت عنخ أمون.

وقد علمنا أن كثيرًا من مخلفات الملك أي Aay والملكة حتشبسوت وتوبر وغيرهم وجدت مكدسة بهذه البقعة الأتريبية وخاصة النسيج الرفيع والحلي البديع. والحقيقة أن أعظم الآثار المصرية كانت من مخلفات الأسرة الثامنة عشرة.

الأسرة ١٩

بدأت هذه الأسرة بعد التناحر الديني بين أمون وأتون فالكهنة كانوا يريدون العودة بالشعب إلى عبادة أمون لأنه حسب عقيدتهم الخالق الأعظم الذي لا يصل إليه مخلوق إلا بوساطة رجال الدين وهم الكهنة الذين أثْرَوْا من هذه الفِرْية الدينية إثراء فاحشًا حتى جاء إخناتون ليُبْطلها. ولكن تمكن الكهنة من التخلّص منه و تنصيب توت عنخ أمون ملكًا على مصر. وهو لا يستحق وليس مؤهّلًا للحكم .

ويزعم كثير من المؤرخين أن هذا التحويل كان فتنة من العبرانيين الذين خرجوا من الأديان أيامها ومكثوا في العذاب الطويل وقد سامهم الفراعنة ألوانًا من العذاب والسخرة في المباني والمنشئات وكانت هذه الفتن الدينية سببًا في تمرد الأسيويين ضد مصر؛ فحاولوا الانفصال عنها.

وفي فترة من هذه الفوضى وذلك الاضطراب أعتلى العرش رمسيس الأول مؤسس الأسرة (١٩) وكان معظم تعليمه وثقافته في أون (عين

شمس). وتولى الملك شيخًا كبيرًا سنة ١٣١٥ ق.م وكان من كبار الكهان إلا أنه حاول أن يتوسّط فى إظهار عقيدته بين الكهنة وبين الشعب. خصوصًا بعد تمرد أشور (شمال سوريا) وغيرها على مصر، ولكن استمرّ الاضطراب ؛ فاحتاج لمعونة ولده سيتي الذي تجاوز من العمر ثلاثين سنة. وقد أمْضى حياته بالمطرية وعين شمس وممفيس وكان محبوبًا من الشعب.

ولذا تمكن من قيادة جيش مصري كبير وأعاد المستعمرات المصرية الأسيوية بعد ان نشر دعايته بالقليوبية (أون) وأصلح طريق فلسطين من تارو (القنطرة) إلى نجب (صحراء النقب بفلسطين) . وشتت عرب الشاسو. وهم أصدقاء الهكسوس ثم سار إلى أرض كنعان (الأردن الآن) وجنوب سوريا. ثم زحف إلى مجدو (مجدل الآن) ومنها إلى لبنان، حيث نصب فيها شاهدًا من الحجر بجوار "حوران" ولا يزال هذا الشاهد باقيًا لليوم . ناطقًا بالوحدة العربية القديمة والاعتراف بريادة مصر لهذه الوحدة.

ثم استولى على غابة يانوم التي كانت وقفًا على معابد مصر من عهد تحتمس الثالث. وهنالك استجاب له حكام هذه الأقاليم وقدّموا إليه هدايا كثيرة من خشب الأرز لبناء السفن المصرية.

عـاد سـيتي الأول حيـث اسـتقبله المصرـيون اسـتقبالًا رائعًـا في بـرزخ السويس. لكنه ذهب مرة أخرى بعد ما يقـرب مـن سـنة إلى آسـيا؛ فتوسـع في الفـتح الأسـيوي ، مسـتعينًا بجنـوده مـن أبنـاء محـافظتي الشرـقية والقليوبيـة. ويرجـع فى النهايـة إلى مصرـ ليشـيِّد المعابـد. ويحـارب معتقـدات أتـون التـى انتشرت فى عهد أخناتون.

ملأ الملك سيتى الأول الوجه البحري بمعابد الإله آمـون الـذى وصـفوه بـ(الخالق الأعظم) . وكان منها معابد بوباسـتِس بالزقـازيق ومعبـد إتريـب فى (بنها). ويذكر التاريخ أن العامل من أولئك العمال الذين اشتغلوا فى بناء هذه المعابد والذين كانوا يقطعون الأحجار من الجبال، كان يحصل الواحـد منهم على نصيب من الطعام يتكوّن من نصف رطل لحم وأربعـة أرطـال مـن الخبـز في اليوم. وثوبان كل ثلاثة أشهر. هذا عدا كميات كبيرة من البصـل والخضرـ كل يوم.

ولكنـه كـان للأسـف يجـارى الكهنـة فى العقيـدة المثلثـة: أزوريـس وسيزوسـتريس والملـك أي الشمسيـ والقمـر والملـك كـما هـو مسـجل عـلى جدران المعابد التى أنشأها.

من أعمال سيتى العمرانية المهمة أنه أنشأ استراحات في الطريق من ممفيس إلى سينا والصحراء الشرقية على أبعاد لا تتجاوز ٣٥ ميلا بين كل استراحة وأخرى. فلما تُوفي خلفه ولده رمسيس الأكبر (الثاني). الذى أتم قناة سيتي التي بدأت بمحافظة القليوبية[١] من النيل ومنها إلى بوباستس ثم إلى فيثوم (التل الكبير- شرقية). وتسمى الآن ترعة الوادي. ومنها إلى البحر الأحمر. ونسبها رمسيس لنفسه.

ولعلها أول قناة وصلت بين النيل والبحر الأحمر في العهد القديم، وقدر المهندس لين أن طولها كان ٦٢ ميلا وعرضها ٤٥ مترًا. ويقول هيرودُت ن أن سيتي أنشأ سورًا حول مصر يبدأ من أون فى عين شمس إلى المنزلة .

كثرت حروب رمسيس الأكبر في آسيا وغزواته فيها. وكان طريقه لهذه الغزوات دائما عبر محافظات القليوبية والشرقية والدقهلية . و قد استعان بسكانها في كل شيء؛ فقد استمد منهم الرجال والمال والمواشي والأنعام.

وانتهت الغزوات بنصر عظيم لرمسيس الأكبر ولكن معاهدة الخيتاس لم تنصفه في هذا النصر بسبب هيامه بكريمة خيتاسار ملك الخيتاس التى تزوج

(١) سرهنك ص ٩٨ ج ٢

منها؛ فبلغ عدد زوجاته مئتي زوجة كما بلغ عدد أبنائه ثلثمائة ولد وبنت. وقد نقشت المعاهدة على ألواح من الفضة.

أهتم رمسيس بمحافظتي القليوبية والشرقية وأكثر فيهما من الحدائق والمدن والترع. وسخر في ذلك العبرانيين. كما أنشأ كثيرًا من المخازن لادخار الطعام وحفظ معدات الجيش. وجعل الحصون على مقربة منها. وأنشأ مدرسة عالية في مدينة رمسيس الوسطى (بجوار القصاصين) وكانت تستمد العلوم والثقافة[1] من أون كعبة العلوم في الشرق والغرب؛ كما يقول فلتاءوس الشاعر في قصيدته لرمسيس الأكبر.

وخلف رمسيس ولده "مرنبتاح" الذى استشرى في تسخير العبرانيين حتى ضجوا واستغاثوا بموسى الرسول الذي خرج بهم من القليوبية والشرقية ليلا في منتصف أبيب سنة ١١١١ ق.م . و قد جرت أحداث قصة موسى الجبارة بين الشرقية والقليوبية؛ حيث أكد جلال الدين السيوطي أن المدينة التي خرج منها موسى وهو شاب بعد قتله المصري الذي اعتدى على العبراني كانت مدينة أون ؛ التي كان يتعلم فيها موسى طيلة حياته.

(١) العقد الثمين للمؤرخ أحمد كمال ص ١١٧، ١١٨

ويخالفه المؤرخ بروكش Bruksch في كتابه (المثولوجيا) ويؤيده (أحمد كمال ص ١١٨). ويبرهن بروكش على أن خروج موسى من عين شمس كان لابد له من اجتياز حصون أتريب بالقليوبية وشبين القناطر، ثم بلبيس وغيته وفيثوم و الفرما وكلها حصون قوية لا يتيسر لموسى الفرار منها؛ ولذا فإن خروجه كان من مدينة "بر رمسيس" بجوار الفرما ومنها إلى أرض مَدْيَنْ المعروفة قديمًا بأرض هوذا واليوم باسم غزة. وأما ثقافته وتعليمه فلا خلاف في أنها كانت في عين شمس ولكن مولده كان بجوار قنتير في تخوم فاقوس بالشرقية.

فلسفة التوحيد

خرجت فلسفة التوحيد من أون ونشرها الذين ثقفوا بها من مصر والشام واليونان وقبرص والعراق وغيرها ولم يكن هناك خلاف في هذه الفلسفة

من بعد الأسرات ١٥، ١٦، ١٧ ولكن الخلاف ظهر في كيفية التوحيد [وممارسة العبادة]: فقد أصرّ الكهنة على القول بأن الإله أمون أعظم من أن تُبسط إليه الأيدي الجاهلة من الشعب مباشرة. ولابد من واساطة بينه وبينهم. ولكن الحقيقة كانت تتجلى في مذهب إخناتون زوج نفرتيتي الذي كان يقول لا وساطة بين الخالق والمخلوق وأن الله الذي نستمد منه الحياة يمنحها لجميع خلقه سواء كانوا ملوكًا أو غير ملوك.

ولعلك تلتمس الصورة التي كان يتقرب بها الناس في عبادتهم. في عهد اخناتون من هذا الدعاء الذى يبرز التوحيد خالصًا من الوساطة : "أيها[1]

(١) سيللر وبرستد ص ٢٤٩

الإلـه الأحـد الـذي لا شريـك لـه في الملـك.. الـخ" وكـان هـذا يـؤلم الكهنـة ويحاربهم في أرزاقهم لأنهم كانوا يشخّصون الإله الواحد فى "أمـون" فقـالوا في التوحيد : "أيهـا الإلـه الأحـد الـذي لا شريـك لـه في الملـك. إلهي مـا أكثـر مخلوقاتك المتنوعة الكثيرة، إنها بسر مكنون تدلّ على عظمتك وقدرتك" . ثم يمتـدحون أمـون الخـالق الأعظـم ويتضرـعون إليـه في تـدبير الكـون والحيـاة والنبات والإنسان والحيوان . ولكنهم أصرّوا على أن عبادة الله والتقرب إليه لا تجوز إلا بواسطتهم وعن طريقهم.

لا شك أن مبدأ التوحيد الخالص قد ظهر وانتشر فى عهـد يوسـف الـذي سجن بضع سنين على مقربة من أون .ونشأ في قصر أثيفو (الريان بن الوليـد) على مقربة[1] من أون ثم أصـبح وزيـرًا للاقتصـاد والتمـوين في هـذه المنطقـة؛ حيث دبَّر المخازن وادخر فيها الغلال زمنًا طويلا ليتمكن من تموين الوجهين البحري والقبلي، بغذاء مستمر لا انقطاع فيه فأنقذ مصر من المجاعات.

المهم أنه قد اشتهر عنه عندما كان في السـجن قولتـه المعروفـة: "واتَّبعـت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ" .

(١) المحيط التاريخي لصالح فارس

ولقد تمكنت عقيدة التوحيد وقويت فى مصر بعد أن صار يوسف عليه السلام وزيرًا؛ حيث نشر رسالته في هذه المنطقة وآمن بها الناس في عهد المجاعة التي ابتُلِيت بها مصر ومن حولها من البلاد المجاورة. ثم كانت عقيدةً تُدرَّس في هذه المنطقة بكعبة العلوم في ذلك العهد وهي أون، ومنها خرجت فلسفة التوحيد. كما خرجت القوانين.

لقد خرجت القوانين العالمية أيضًا من أون. وأدى الموظفون والوزراء الذين تخرجوا من هذه الجامعة رسالاتهم في أمانة وروح دينية ثابتة. و تجاوب معهم الشعب في إزالة الخرافات والمعتقدات الفاسدة والتعاويذ والتمائم والوسائط.

ولمعالجة المشكلات المالية والمنازعات بين الناس ظهر التشريع في المعاملات متأثرا بعقيدة التوحيد الإلهي وانعكاسا لثقافة المصريين؛ فى قوانين تتَّسم بالروعة والدقة. سواء فى العقوبات أو فى نظام السجون.

وكما يقول فولتير[1]: " كانت مصر سابقة فى التشريع والقوانين التى بهرت العالم .. باعتبارها خصوصية للحضارة المصرية القديمة؛ فقد سادت فيها فكرة أن العدل أساس الملك. ومن ثَمّ كانت المساواة من أهم أركان التشريع فى القوانين المصرية حين ذاك."

(١) القاموس الفلسفي لفولتير ودائرة المعارف في القرن العشرين ص ٥٥٥ ج٩ .

وعُـرِف المصرـيون أيامهـا بالنزاهـة في المعاملـة، والصـدق في القـول والإخلاص في العمل لأن التشريع والثقافة والتربية كانت[1] كلها تُعبّر عن سُمُوٍّ روحيّ، وتعزز أركان الأخلاق الدينية فى المجتمع؛ حتى كان أعظم ما يلقب به الملك آنذاك لقب "الموطّد للقانون[2] لأنه كان يهتم بالتشريع والقوانين العادلة. وكان الموظفون أداة صالحة للتعاون والحكم مع الرؤساء والملوك، الذين اختاروا الوزراء من أرقى المستويات، وأطهر النفوس؛ لضمان حماية التشريع ومتابعة جودة التطبيق وإشاعة العدالة بين أفراد الشعب في المجتمع كله، على قاعدة راسخة من العدل والمساواة.

ويؤكد الأستاذ "درابرين" الذي كان مدرسًا بالحقوق في مصر سنة ١٩٣٤: أن مصر فى تلك الفترة كانت بها حكومة عدالة اجتماعية بالمعنى الصحيح لأنها قضت على وراثة العرش واغتصاب الحقوق والأموال. الخ. كما أنها اتبعت النظام الزراعي التعاوني في الاقتصاد.

ويقول "ريفيو" عن القوانين في ذلك العهد: "إن كل ما يسمى حقًا بقانون إنما أُخذ من قوانين مصر؛ فيما يتعلق بحقوق الأفراد والأمم والحقوق

(١) حضارة مصر الخالدة لصالح فارس

(٢) Spleselberg Steudient والمحيط التاريخي لصالح فارس ص ٧٨ ج٣.

المدنية. كلها من وضع المصريين الذين اقتبسوها من الشرائع الإلهية التى استمدّها المصريون فيما تعلّموه بجامعتهم فى أون"من آثار الأنبياء والمرسلين.

ومعظم المؤرخين يؤكدون أن الحدود[١] والعقوبات القانونية في اليمين الكاذبة والنكوص عن إسعاف الناس. والقتل والبلاغات الكاذبة والتجسس وخيانة الوطن. والفرار من الجندية. وتزييف النقود. والتزوير والكذب. والزنا والضرب. الخ" ؛ كل هذا مأخوذ من القوانين المصرية القديمة.

وقد استدرك "جوستيف لبون" تطبيق القوانين المصرية القديمة على قانون العقوبات وتحقيق الجنايات الحديثين في المواد ٢٠٠، ٢٧٦، ٢٧٩ ولاسيما في القتل وسقوط الجنايات بمضي عشر سنين وغير ذلك. وأكد صحة اقتباس هذه القوانين الحديثة من القوانين المصرية القديمة التي أمَدّت [٢] اليونان والرومان بالتشريع القديم.

هذا وقد خلّفت هذه الأسرة آثارًا عظيمة من القصور والخلجان والحدائق والمدن والتماثيل والمسلات والحلي .

(١) جوستف لبون في حضارة مصر ص ٨٧

(٢) المحيط التاريخي للمؤلف.وبرستد ص٢٩٨

الأسرة العشرون

كما سبق أن ذكرنا كانت حادثة فرعون موسى وغرقه مع جنوده سببًا في تمرد البلاد الخاضعة لمصر من العراق وأشور (سوريا) والأناضول وقبرص وليبيا والتي تدعى أنها ثارت للجوع والقحط وكان لابد من اضطراب وفوضى وفتن دامت عشرات السنين حتى ظهر رمسيس الثالث الذي أعاد المياه إلى مجاريها وحصن الحوف الشرقي (الشرقية والقليوبية) واستعان بمن فيه على غزو آسيا وإخماد ثورة ليبيا.

وكانت الآثار حدائق ومدائن وخلجانا وتماثيل كثيرة.

الأسرة الواحدة والعشرون

استمر الاضطراب في هذه الأسرة ولكن الوجه البحري كان مستقلًا ومنفصلا عن الوجه القبلي. وتنقل الحكم في عواصم كثيرة بالوجه البحري. وظهر الكهنة الليبيون يتزعمون عرش مصر. وكان منهم بسوسنس الذي كُشف عن قبره سنة ١٩٣٦ وكان فيه ألواح من الذهب والفضة. وقال الناس أن هذه الألواح سُرقت وأهديت للملك فاروق ، حيث وُضع مكانها ألواح من البرنز . كما حدث في الآثار التي اكتُشِفت سنة ١٩٤٠ . فقد سرقت هي أيضا وغُيرت بآثار مزيَّفة. ومثل ذلك حدث سنة ١٩٤١، ١٩٤٦ بآثار هذه الأسرة الحادية والعشرين؛ سرقت الآثار الثمينة وبقي الغثُّ بأمر فاروق ملك مصر في العشرين من فبراير سنة ١٩٤٦ وقبلها. زُيّفت الأثار. وتحوَّلت إلى سبائك ذهبية لينعم بها اللص الكبير. (١)

(١) كانت سرقة الآثار سمة بارزة وعلى أوسع نطاق فى عهد مبارك الذى استمر ثلاثة عقود من النهب واللصوصية المقننة..(المحقق)

الأسرة الثانية والعشرون

كان المسيطرون على عرش مصر في هذه الأسرة الشياشقية وهم عرب مجهولون كانوا مختفين في ليبيا ثم ظهروا في عصر كانت مصر فيه قد ضعفت وتخاذلت وتفرقت كلمتها بين القليوبية وبوباستس و أهناسيا. وقد ثبت تعاونها مع شيشق الأكبر المعروف في التوراة باسم سيزاك، الذى زوج أبنته من سليمان الرسول عليه السلام، ليأمن قوته و يمنع غزوه لمصر. لانه كان يجاوره في أرض فلسطين والشام، ولما مات سليمان. وتولى ابنه من بعده هاجمه سيزاك وانتصر عليه في الشام وسلب آثار بيت المقدس، التى قُدّرت بـ"٦٦٦" وزنةٍ من الذهب[١] قُدِّرت قيمتها بنحو ٦٥ مليون جنيه أو أكثر. حملها على مئات من العربات والعجلات. وجاء بها إلى مصر. هذا غير النفائس والأواني الذهبية والأحجار الكريمة وغيرها مما يقدر بأضعاف ذلك.

وقد نقش هذا الحادث على هيكل الكرنك بالوجه القبلي كما نقش على

(١) الإصحاح الثالث من سفر الملوك بالتوراة. والحضارة الخالدة ص ١٠٧

جدران إيوان البسايطة (نسبة إلى بوباستس وأختها بالقليوبية) الذي أسسه ذلك الملك (سيزاك). اضطربت البلاد بعد ذلك وكثر فيها الجدل الديني والمعتقدات التي انتهت بانهيار هذه الأسرة.

ومن أعظم مخلفات الأسرة ٢٢ وصية الحكيم آني لعله كان نبيًّا؛ إذ يقول:

"أحذر المرأة الأجنبية المجهولة في بلدها. لا توجه إليها لِحاظك ولا تتزوج منها. أنها لُجَّه شاسعة عميقة الغور لا يُعرف تيّارها، وإذا ما ترعرعتَ واتخذتَ زوجة وبيتًا. فتذكر أمك التي ولدتك وأنشأتك من جميع الوجوه، ولا تدعها تلومك وترفع اكفها إلى الله فيسمع شكواها.. ادرس العلم ثم ضعه في قلبك فيطيب لك كل ما تقوله، لا تجب رئيسًا وهو غضبان. بل ابتعد عنه حتى يسكت عنه الغضب، وإذا خاطبك شخص بألفاظ جارحة فجاوبه بكلام عذب" .

هذه الوصية مدونة على لوحة حجرية عريضة بالمتحف المصري ورقمها ٢٥٠٥ ، ولا شك أنها مطابقة لتعاليم القرآن وصحف داوود مما يدل على أهميتها وهي لم تخرج على ثقافة أون ؛ وقد أثرت هذه الوصية ومثيلاتها تأثيرًا

عميقًا في هذه المنطقة وساعدت فى تنشئة أجيال مهذَبة وشباب مستقيم الخلق. ويدل على ذلك الحادث التالي:

"شهد الأمير ساتني امرأة جميلة في معبد فتاح وعرف أنها تمتُّ بصلة إلى أمراء بوباستس وعلماء أون (فى عين شمس) وطلبها لنفسه أو حاول مراودتها وقدّم لها هدية فأجابته قائلة: إنني عفيفة طاهرة ولست بغيًّا، ولكن يمكنك أن تنال مأربك من طريق شرعي.." ثم ردت إليه هديته، وقد سُجلت[1] هذه القصة في الأدب المصري القديم.

(١) حضارة مصر الخالدة للمؤلف ص١١٢.

الأسرتان ٢٣، ٢٤

فترات اضمحلال الدولة كانت تتكرر فى تاريخ مصر. ولعل أبرزها وقع خلال حكم الأسرات من ٢١ إلى ٢٥ فيما بين ١٠٨٥ إلى ٦٦٣ق.م.؛ فقد شهدت مصر غلبة عناصر أجنبية ترتقى عرش السلطة من ليبيين ونوبيين . لم يكن فى أغلبه غزوا خارجيا وإنما زحفًا داخليًّا فقد كان هؤلاء فى مصر يخدمون فى الجيش المصري ونظرا للاضطرابات والصراعات الداخلية ازداد نفوذ القوى الأجنبية. واستطاعوا أن يزحفوا على السلطة ليملؤا الفراغ السياسي والإداري وكونوا أسرات حاكمة مثل أسرة شيشنق الليبية، وأسرة يعنخى النوبية.

وبسبب استمرار الاضطرابات والصراعات الداخلية تجرأ الأشوريون فغزوا مصر واحتلوا أجزاء منها فثار المصريون عليهم وطردوهم. بقيادة بسماتيك الأول الذى

أسس الأسرة٢٦ (حوالى ٦٦٣ - ٥٢٩ ق.م) ؛ فأعاد لمصر بعض قوتها

وبدأ عصر النهضة حتى عاد إليها الفرس خلال فترة الأسرات من٢٧ إلى ٣١ حيث انتهى تاريخ الفراعنة بعد ما غزا الإسكندر الأكبر مصر وطرد الفرس سنة ٣٣٢ق.م. وقامت من بعده الدولة البطلمية اليونانية. فلما استقرت شهدت نهضة جديدة. انتهت بسقوط وموت كليوباترة.

بعض ملامح من الأسرتين ٢٦ و٢٧ وما بعدهما

كان أبرز ملوك الأسرة السادسة والعشرين هو بسماتيك الأول الذي استعان بالحوف الشرقي بما فيه القليوبية في حروب كثيرة؛ فلما يئس الناس وضجروا من كثرة الحروب سمح بسماتيك لمئتي ألف يوناني بالوفود إلى مصر واتخذ منهم جنودًا نظاميين وجعل لهم مساكن في الحوف الشرقي. ومقابرهم لَّما تزل آثارها باقية لليوم بمركز فاقوس شمال الحوف الشرقي، وكانت ثقافتهم مع أبنائهم في عين شمس (أون)[1] ونبغ فيهم فيثاغورث وسولون وأفلاطون وغيرهم ممن ثقفوا بالقليوبية. وزاد عدد اليونانيين فى مصر حتى بلغ ثلاثمائة ألف.

واستعان نيخاو أحد ملوك هذه الأسرة (٢٦) باليونان في وصل البحرين الأبيض والأحمر ولكنه خسر كثيرًا. في الوقت الذي ظهر بُختنصر (شلمنصر) يرهب آسيا وأفريقيا فعدل عن وصل البحرين، ومع هذا فقد هاجم مصر

(١) حضارة مصر الخالدة ص ١١٨.

شليمنصر واستولى عليها وجاء بعده قمبيز بن قورش العجمي وفتح مصر وقتل ملكها بسماتيك الثالث. في بوباستس .

وقد اكتُشفت آثار قيمة في تل أتريب من بقايا هذه الأسرة سنة ١٨٧٥ مما يدل على أنها كانت محلًا للرياسة أيامها ولاسيما وان مصر كانت مقسمة إلى واحد وثلاثين قسمًا. وتم وصل البحرين الأبيض والأحمر لمصلحة العجم وبدأوا بالقليوبية التي كان منها الشحن والتفريغ فى السفن.

وخلال الأسر ٢٨و٢٩و٣٠ كان مقر الحكم فى الوجه البحري بين مندبس وتميّ الأمديد وأشمون. واستمرت الغزوات بين مصر وآسيا عبر القليوبية، و من ثم الاضطرابات وعدم الاستقرار.

الأسرة ٣١ واليونان في مصر

كان الحكم في هذه الأسرة خليطًا بين العجم واليونان الذين تغلبوا على مصر بقيادة الأسكندر. الأكبر الذي أسس مدينة الإسكندرية وغزا بلاد الشرق وآسيا ووسع نطاق مصر. وخلفه البطالمة الذين عملوا على نموّ الثقافة في أون ونشروا المصورات الجغرافية في مصر. وافتتحوا سوريا وبرقة وقبرص وانتهى ملكهم بكيلوباترا سنة ٣٠ ق.م ، ومن آثارهم المكتبات في مصر. وأشهرها على الإطلاق مكتبة الإسكندرية. وكانت حقولهم ومزارعهم الخصبة في القليوبية.

الرومان في مصر

هذا عهد المظالم الذي ضجت منها مصر. واستشهد فيها ثلث مليون مسيحي قتلهم دقلديانوس الجبار في نهاية القرن الثالث للميلاد وسُمِّي هذا العصر بعصر الشهداء، الذى شهد مجازر تدفقت فيها دماء غزيرة. وما وافت سنة ٦٤٠م أو ٢٠هـ. حتى ظهر العرب الفاتحون ليقضوا على ذلك العصر الدموي الرهيب.

القليوبية في العهد الإسلامي

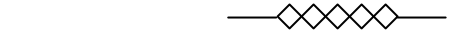

كانت القليوبية أول المرحبين بالعرب بعد الشرقية؛ و قد جاء عمرو بن العاص بأربعة آلاف مجاهد ووصل إلى الفرما. وكانت موقعه حاسمة أمام ثلاثين ألفًا من الروم. ثم سار العرب نحو شمال الشرقية فوجدوا الروم قد أغرقوا هذه الأرض. فتحولوا عنها إلى الواردة وكانت مدينة حصينة شرقي الصالحية. ولم يدم القتال فيها طويلاً بل تركوها إلى بلبيس وكان القتال شديدًا. ثم ساروا إلى القليوبية؛ حيث لحق بهم أربعة آلاف عربي آخرون وعسكروا بعين شمس ثم انتقلوا إلى الفسطاط (مصر القديمة).

وكان التخطيط حول الفسطاط كشوارع متفرعة حوله بأسماء البطون العربية الذين وفدوا لهذا الفتح العربي الكبير. وقد استمدوا المؤن من القليوبية لبضعة أشهر حتى فتحوا حصن بابليون بشق الأنفس. وعبروا النيل على ألواح من الخشب فوق السفن إلى الجيزة. ومنها إلى كوم شريك بالبحيرة. ثم إلى الإسكندرية، وقد استغرق الفتح قرابة سنة وتم سنة ٢٠هـ.

وتفرغ عمرو وأعوانه لإصلاح البلاد وتطهيرها من الفساد. وكان من إصلاحهم إنشاء خليج أمير المؤمنين، الذي يبدأ بفم الخليج بالقاهرة إلى السد البراني والسيدة زينب. ثم إلى شارع الخليج المصري ومنه إلى العباسية فمديرية القليوبية بجوار جمجمرة . ومنها إلى بلبيس فالعباسية فالتل الكبير فالبحر الأحمر وكان رابطة طيبة بين مصر والعرب.

وتوالي الولاة على مصر من قِبل عمر وعثمان وعلي ثم من قِبل الدولة الأموية وكان العدل يرفرف على البلاد جميعًا.

وفي سنة ١٠٩ هـ. رأى هشام بن عبد الملك الخليفة الاموي جمعيات سرية تنشأ بكثرة في الشام فأمر بتهجير أربعة آلاف بيت منهم إلى الحوف الشرقي (من مصر إلى ما بعد بلبيس) وكان نصيب القليوبية مئات من بطون قيس وربيعة. وبنى تميم وبلى وجهينة والشرفا وكنانة وبهادة.

ومن أسماء بعض البلاد فى القليوبية تعرف عروبتها: كالعبادلة والعمار والمطرية والزيتون وكفر العرب وجهينة والجعافرة والسلمانية والمرج. وبنى تميم والشرفا وكنانة وبهادة.

وترى تفصيل هذا التهجير فى المراجع التالية: القرشي ص ١٤٣

وسرهنك ص ١٢٣ ج٢ ، والكندي ص٧٧، وقيد الأنساب ص ٣١ – ٩٧ج١ والمقريزي ص ١٢٨ ج١ والعِبر ص٢٤٧ ج٢ الخ.

الدولة العباسية

استمر تنصيب الولاة على مصر في عهد الدولة العباسية إلى نهاية عهدها الأول في القرن الثالث من الهجرة، ولكن بعض الولاة طغى في رفع الضرائب على سُكَّان الحوف الشرقي الذى يشمل –كما عرفنا– محافظات القليوبية والشرقية والدقهلية. في ذلك العهد بلغت فيه الدولة العباسية شأوا عظيمًا. ولكن لما ارتفعت الضرائب على مصر ارتفاعا فادحًا ثار الحوف الشرقي ضد الدولة العباسية. ونتج من جرّاء هذه الثورة صدامات فى المواقع الآتية:

موقعة شبين القناطر سنة ١٧٩هـ. وقد انتصر الثوار فيها بأرض القليوبية، وموقعة بلبيس سنة ١٨٢هـ. وقد أنتصر المصريون فيها أيضا طبقًا لما ورد فى كتاب (النجوم الزاهرة ص ٩٢ج٢، والكندي ص ١٤٣).

كما انتصر الثوار فى موقعة بلبيس الثانية التى امتدت إلى جمجرة بالقليوبية. وتكررت هزائم جيوش العباسيين فى موقعة فاقوس –عمريط، حيث تمت

هزيمة جيش المأمون العباسى سنة ١٩٨ هـ. كما ورد فى(طبقات الشافعية والنجوم الزاهرة ص٢ ١٦٢ج٢ والعبر ص ٢٩٦ج٢).

أما الموقعة الخامسة فكانت في تل أتريب ، حيث قُتل فيها الجرشي وابن الحكم رئيس شرطة المأمون سنة ٢٠٤هـ. (أنظر الكندي ص١٦٤م٢ وابن الأمير ص١٤٧ ج٦).

ثم كانت الموقعة السادسة سنة٢٠٨ هـ. في المطرية قليوبية وقد أسر المعتصم عددًا كبيرًا منهم وجعلهم قادة في جيش العباسيين (المقريزي ص١٣٠) . وسمي هؤلاء القادة بـ"المطارية".

وحدثت الموقعة السابعة في عين شمس قليوبية سنة ٢١٦ هـ. وكان فيها ابن الأفشين. وقد انتهت الموقعة بحضور المأمون بنفسه إلى مصر- مارًا على مواقع الحرب بالقليوبية وجيرانها سنة٢١٧هـ. وقد وردت تفاصيل هذه الصدامات والوقائع فى المراجع التالية: (ابن الأثير ص ١٨٤ ج٦ والنجوم الزاهرة ص ٢٠٨ج٢، ٢١٣نفس الجزء، والمقريزي ص ١٣٥ج٢ والعبر ص٢٩٦ج٤ وقيد الأنساب ص١١٥ج١).

فى العهد الطولوني وما بعده

بنى ابن طولون حصنًا على النيل (يبدأ من مكان القناطر الخيرية الحالية) وينتهي عند الجزيرة (بالمنيل). ولما غزا الشام سنة ٣٦٥هـ. صحب معه ألوفا من الجنود من أبناء القليوبية والشرقية. وفي عهد ابنه الملك خمارويه أعاد فتح الشام والعراق وسوريا ولبنان سنة ٢٦٩ هـ. وذلك بمعاونة جنود من القليوبية والشرقية. وموقعة الطواحين شاهدة على ذلك . وانظر فى هذا (المعارف ص ٧٨ ج٩ والعبر ص٣١٥ ج٤).

وفي أوائل القرن الرابع من الهجرة كانت القليوبية مصدر الإمدادات للدولة الإخشيدية التي كانت تروح وتغدوا كل عام بين الشام ومصر وتستمد قوتها البشرية. ومواشيها ومعداتها من القليوبية والشرقية خلال فترة استمرت من سنة ٣٢٥ حتى سنة ٣٥٤ هـ.

وما كادت القليوبية تستريح إلا قليلا في منتصف القرن الرابع الهجري حتى لجأ إليها الفاطميون، يستمدّون منها العون في غزو الشام والقرامطة

سنة ٣٧٠ هـ. وامتدت قصور الأمراء الفاطميين على النيل إلى مقربة من القناطر الخيرية وقتل بعضهم فيها سنة ٤٦٥هـ.

ثم كانت الحروب الصليبية بعد ذلك سببًا في تحريك وعي القليوبية والشرقية؛ حيث فرَّ منها الجبناء وبقى الشجعان. ولقد دامت الحروب الصليبية قرنين أي مئتي سنة تواصلت خلالها المعارك الطاحنة التى يلغ عدد المعارك الكبيرة فيها بضعة عشرة معركة إلى جانب عشرات من المعارك الصغيرة . فما خلت معركة منها من تدفّق دماء أبناء (الشرقية والقليوبية).

وفي أثناء ذلك تم تسخير القليوبية والشرقية في حفر خليج أبي المنجا في أوائل القرن السادس الهجري وقد بدأ بالمكان الذي بدأت فيه ترعة الإسماعيلية الآن وانتهى بالشمال الشرقي للشرقية. ولعل من أكثر المعارك الصليبية شراسة في مصر، ما حدث فى قلب الحوف الشرقي (بين بلبيس إلى أتريب سنة ٥٦١هـ إلى ٥٦٥هـ.)

وفي عهد الدولة الأيوبية كان سكان الحوف الشرقي أسرع الناس فى الالتحاق بجيش صلاح الدين الأيوبي ؛ وقد شهدت موقعة حطين سنة ٥٨٤هـ بسالة أبناء الحوف وسالت فيها دماؤهم الطاهرة.

وقد واصلوا خوض المعارك مع رفاقهم في شمال الحوف بالمنصورة فشاركوا فى أسر لويس التاسع بها. وفتكوا بخمسين ألفًا من الفرنسيين المعتدين على الحوف الشرقي خاصة. وعلى الوجه البحري عامة سنة ٦٤٨هـ.

كما شاركوا إخوانهم بالحوف في صد غارات التتر بعين جالوت وهزموهم سنة ٦٥٨هـ. وقد غنموا ما كان مع التتر من أسلاب جمعوها من البلاد التي غزوها. وأثرى الحوف الشرقي من تلك الغنائم ثراء عظيمًا.

كما شاركوا في المحافظة على الحجاج يوم أن حوَّل الظاهر بيبرس طريق الحج إلى الحوف الشرقي واسند حراسته إلى هؤلاء العرب الأبطال الذين تكاتفوا مع إخوان لهم آخرين من في حماية الحجيج من سنة ٦٦٨هـ. إلى نهاية القرن الماضي.

وفي سنة ٧١١ هـ أمر الناصر بن قلاون بإصلاح جسر النيل فيما بين منية السيرج قليوبية إلى بولاق. ونظم وسائل الزراعة (أنظر ابن إياس والمحيط التاريخي للمؤلف ص ٢٣١ج ٣). وكان خراج الفدان في ذلك العهد جنيهًا واحدًا في هذه المنطقة وعدد قراها ثلاث مائة قرية.

وفي العصر التركي كان معظم جنود طومانباي المعسكرين بالصالحية من

الحوف الشرقي لصدِّ غارات الترك بقيادة سلطانهم سليم الأول. الذي انتصر في مرج دابق وترك الصالحية بمن فيها من المصريين والمماليك.

ولكن طومان باي أسرع وراءه مصحوبًا بجيشه (الشرقاوي القليوبي) حتى لحق به في الخانكة من مديرية القليوبية والتحم الفريقان في (بركة الحج) من أعمال هذه المحافظة في الأول من المحرم سنة ٩٢٣هـ. ولكن مدافع الترك كانت طويلة المدى أكثر من بنادق المصريين الذين اضطروا لإفساح الطريق أمام العثمانيين.

وكانت الفترة العثمانية فترة جمود وخمود مشوب بكثير من المظالم ؛ ظهر فيها سوط العثمانيين عامة وزادت الضرائب وافتعلوا العجائب أكثر من قرنين. حتى استقلَّ علي بك الكبير بمصر سنة ١١٨٥هـ و كادت القليوبية تقفز إلى المجد لولا موت هذا الوالي الكبير ، الذى خلفه من بعده أبو الذهب وإسماعيل بك ثم مراد بك وإبراهيم بك وغيرهم ممّن عاشوا في خلاف وشقاق حتى فوجؤوا بالحملة الفرنسية على مصر.

و كانت أول قرية تمرّدت على الفرنسيين بمصر قرية أبي زعبل لأنهم من العرب الأحرار الذين استنكفوا تفتيش بيوتهم مما يزري بالكرامة ؛ فثاروا

بفئوسهم ورماحهم ضد الفرنسيين. فانتقم الفرنسيون بحرق القرية الأبية المكافحة في سبيل الدين والوطن. ولكن الله انتقم من الفرنسيين بتدمير أسطولهم فى أبى قير.

ثم ثارت القاهرة ثورتها المعروفة وثار شيوخ العرب بالقليوبية والشرقية وفي مقدمتهم الشواربي وشيخ العائد (أنظر تاريخ الشرقية للمؤلف صالح فارس ص ١٧٣ ج١). ثم فرّ نابليون إلى فرنسا. وقُتل من بعده نائبه كليبر في ٢٠ من المحرم سنة ١٢١٥هـ - ١٤ يونية سنة ١٨٠٠م وتحررت مصر من الاحتلال الفرنسي بعد استماتة الحملة الفرنسية فيها نحو ثلاثة أعوام .

عصر محمد على باشا

سادت مصر مع الوجه البحري عقب ذلك فترة اضطراب دامت طويلًا حتى كان عهد محمد علي الذى اهتم بتجديد بعض الخلجان والترع التي تبدأ من القليوبية بسقياها مع الشرقية والدقهلية، ورأى حفظ بعض مياه النيل وتدبيرها ببناء القناطر الخيرية وكانت خير رابطة قوية على رأس الفرعين الشرقي والغربي للنيل وعملت بوابات من الحديد لهذا البناء القوي للتحكم فى صرف المياه بقدرٍ عند الحاجة إليها. وبذا يمكن الانتفاع بالزراعة مرتين وثلاث مرات في العام بالوجه البحري.

ترك محمد على باشا مئات الأفدنة المحيطة بالقناطر لأجل التوسعات المستقبلية كما خصص ٤٥٠ فدانًا للحدائق العامة مصممة على غرار المتنزهات والحدائق الأوروبية، وجلب إليها أنواعًا من الأشجار النادرة من مختلف أنحاء العالم.

كانت مساحة الأراضى الزراعية فى القليوبية حين ذاك ثمانين ألف فدان جيدة التربية وكان فيها حدائق زاهرة. ولما تزل ناضرة في قليوب ونَوَى

وطوخ ومُشْتهر وبهتيم وغيرها إلى وقتنا هذا . و لم تتخل القليوبية عن التعاون مع الوالي محمد على باشا في غزواته إلى الحجاز والشام واليونان والسودان وغيرها من البلاد. وقد انشأ محمد علي بعض قصوره وحدائقه في شبرا وكانت تابعة للقليوبية.

وفي حفر قناة السويس سنة ١٨٥٩ كان معظم العاملين في ذلك المشروع من أبناء الشرقية والقليوبية. وهذا ما سجلتُه مفصّلًا فى كتابين لى : تاريخ الشرقية والمحيط التاريخي ج٣ .

وأنشأ محمد على مدرستي الطب والحربية فى الخانكاه وأبى زعبل . وقد بقيت مدرسة الطب هناك حتى نُقلت إلى القصر العينى سنة ١٢٥٣ هـ. (١٨٣٨م) بعد ثلاثة عشر عاما قضتها فى القليوبية. ثم نقلت المدرسة الحربية من أبى زعبل إلى العباسية سنة١٢٦٦ هـ. (١٨٥٠م)

فى ذلك العام بُدِئَ بإنشاء خط السكة الحديد بين القاهرة والإسكندرية. وفى غضون الفترة نفسها لقي عباس الأول مصرعه فى قصره ببنها وكان هذا فى شهر شوال ١٢٧٠ هـ. الموافق يوليو ١٨٥٤م فاستراح الناس من شروره. كما أنشئ الخط الحديدى بين قليوب والزقازيق فى سنة ١٨٦٥م.

كان أبناء القليوبية والشرقية في الثورة العرابية في مقدمة المجاهدين والمدافعين عن الوطن سنة ١٨٨٢ لولا الغدر والخيانة من جانب الخديوي توفيق وأعوانه. وفي ثورة ١٩١٩ كان المدد والمئونة والأعوان من القليوبية والجيزة وكان لهما أكبر الفضل في تموين القاهرة مصدر تلك الثورة التي كادت تنجح لولا ما لحقها من الخيانة والعملاء والانتهازيين من الوزراء. والأحزاب الموصومة بالخيانة الوطنية والولاء للأجنبي.

منطقة صدامات وحروب تاريخية

لعل القارئ لهذه السطور التي سجلتها فى عُجالة يدرك الآن أن المنطقة كانت معبرًا للجيوش والصدامات العسكرية زمنًا طويلًا؛ فقد عبرت منها الجيوش المصرية القديمة لتغزو بلاد آسيا . كما شهدت مرور الأعداء عليها فى غزوهم لمصر وهم يداهمون في العصور السابقة وأهمها مرور العجم في مصر وقتل بسماتيك ملك مصر بجوار القليوبية فى بوباستس . كما تشهد في هذه العجالة تحركات جيش قمبيز بن كورش في الحوف الشرقي وتحركات البطالمة . بعد الاسكندر الأكبر وقد انتهى عصرهم بكيلوبترا كما أشرنا آنفًا.

ثم شهدت مصر مظالم الرومان وعسفهم وقسوتهم حتى انصرف عنها أهلها؛ فرارًا من المظالم. التى لم ينْجُ منها رجال الدين المسيحي الذين عذبهم الرومان وطردوهم من مراكزهم الدينية. وحالوا بينهم وبين أداء رسالتهم .

فلما جاء الفتح الإسلامي العربيّ أنقذ أهل مصر من العسف والقهر والطغيان الروماني ورفع لواء العدل والتسامح مع غير المسلمين. لينعم أقباط

مصر بحياة آمنة ويمارسوا دينهم بحرية. ولهذا رحّبت مصر بالمسلمين العرب فاتحين سنة ٦٤٠ هـ. ولتشهد البلاد فى ظلهم الأمن والاستقرار. و تتمتع بحقوقها فى الحياة كاملة غير منقوصة .

وقد وفد إلى الحوف الشرقي بعد الفتح ألوف من بيوتات العرب من الشام في عهد هشام بن عبد الملك ؛ حيث رحبت بهم القليوبية. وكانوا خليطًا من اليمن وبني تميم وبهاده والشُّرفا وبني كنانة. ثم يزيدون عروبة ومجدًا ببطون كثيرة من قيس وربيعة والعبادلة والعائد. ثم يُعزَّزون في القرن السادس ببطن عريض من السناجرة بكوم السمن؛ وكان هؤلاء جميعًا جنودًا تدافع عن مصر أمام الزحف الصليبي . فى مواقع مشهودة. زاد عددها عن بضعة عشرة موقعة.

ولا ننسى موقف القليوبية مع الشرقية أمام الخليفة الرشيد، على عزته وعظمته (فى أواخر القرن الثانى من الهجرة) وهي تطالب بحقوقها . وقد انتصرت على جيش الرشيد في عمريط وبلبيس والمطرية وأتريب وغيرها من المواقع. ثم ينتهي عصر الرشيد ولم تنته المطالبة بالحقوق ودفع المظالم المتمثّلة في الضرائب الفادحة. وقد نال المأمون نصيبه من الفشل أمام حشود الثائرين في أوائل القرن الثالث من الهجرة. مع أن جيشه كان يتمتّع بقيادة أخيه

المعتصم الذى جاء ومعه أشهر قياداته العسكرية مثل أفشين. ومع ذلك لم تهدأ المقاومة المصرية . ولم تسكت المعارك إلا بعد حضور المأمون بنفسه إلى مصر- فمرّ بالشرقية والقليوبية . واستطاع أن يفهم مشكلات الأهالى على الطبيعة دون وسيط فوضع العلاج الناجع . وأعاد الأمور إلى نصابها . وكان الدواء شافيًا.

ومن بين المعارك التاريخية الطاحنة التى شهدتها القليوبية معركة بركة الحج . التى كانت محور حرب طاحنة بين طومان باي القائد المصري الشركسي وبين السلطان سليم الأول سنة ٩٢٣ هـ. وقد انتهت المعركة بفوز المدافع طويلة المدى على شجاعة المقاتلين من أبناء هذه البقعة المباركة في بركة الحج .

ثم تجددت المواقع في القليوبية أمام الحملة الفرنسية ١٧٩٨م. وقد تمكن نابليون من أسر زعيمي الشرقية والقليوبية الشواربي والعايدي. وهنالك تثور مصر من أقصاها إلى أقصاها. ويفر نابليون أمام هذه الحوادث متواريًا في زي عربي عن طريق الإسكندرية إلى فرنسا.

وهكذا عاشت القليوبية معاركها الحربية دفاعا عن أرض مصر فى كل العهود والمواقع فكانت نموذجا يُحتذى فى الشجاعة والفداء والوطنية.

حدود القليوبية

قد يتساءل البعض: هل ثبتت حدود القليوبية خلال العصور التاريخية والأحداث الحربية والتقلبات الإدارية.؟

ويجيب البحث: أن حدود القليوبية كانت ثابتة ثبات أهلها في المواقف الحربية قديمًا وحديثًا في الشمال والشرق والغرب؛ فشمالها أتريب الذي لم يتغير ولم يتزحزح عن بنها في يوم ما، والتل شاهد على ذلك (أقصد تل أتريب)، وغربها فرع النيل الشرقي، وهو الفرع المنديسي قديمًا، أو فرع دمياط حديثًا، وهذا الفرع لم يتحرك من مكانه، بل ثبت كما ثبت هذا الشعب المبارك في مواقفه.

وكانت التغييرات مع محافظة الشرقية قليلة جدًّا في مختلف العصور ، وقد شكَّلتا معًا منطقة واحدة عُرِفَتْ –كما سبق أن أشرنا- باسم "الحوف الشرقي" إلى ما بعد القرن الخامس من الهجرة، ثم وضعت الحدود الجغرافية فيما بينهما، وكانت هذه في مدّ وجزْر؛ خصوصًا بين مركزيْ منية القمح وبلبيس في أيامها الأخيرة من القرن المنصرم (التاسع عشر الميلادي).

وأما في الجنوب حيث تضيق المساحة الفاصلة بين القليوبية وبين القاهرة؛ فقد كانت قابلة للتغيير. والقبض والبسط . والانفراج والتقلص خلال القرنين المنصرمين (١٨و١٩)، بل استمرت التقلبات إلى عهد قريب جدًّا خلال القرن العشرين.

فمثلا. كانت مناطق الوايلي والمطرية والزيتون وعين شمس والقبة ومعظم الضواحي خاضعًا للقليوبية؛ فلما توسّعت القاهرة وامتدت مساكنها التي ازدحمت بالسكان حتى زادت على المليونين، تقلصت بعض بلاد القلوبية إلى القاهرة وصارت جزءًا منها.

والقرار المالي والإداري الذي بين أيدينا الآن لسنة ١٩٤١م يثبت أن أحد مراكز القليوبية كان فيه: منية السيرج، وكفر الجاموس سابقًا، و كفر فارود، وشبرا الخيمة وجزيرة بدران بشبرا، وبهتيم والوايلي والمطرية والزاوية الحمرا والأميرية والقبة وما جاورها كعين شمس والزيتون..

ولكن مساحة الرقعة الزراعية توسّعت توسّعًا عظيمًا؛ فقد كان المنزرع في هذه المحافظة على عهد محمد علي باشا ثمانين ألف فدان، كما هو ثابت في كتاب "لمحة من تاريخ مصر" لكلوت بك في ذلك العهد، ولكنها اليوم

صارت أكثر من مئتي ألف فدان.

كان سكان القليوبية –عبر التاريخ– فى حركة دائمة: في ذهاب وإياب وفرار وقرار أمام المظالم والحروب . لا يزيد عددهم فى المتوسط على خمسين ألف نفس، ولكنهم الآن عشرة أضعاف ذلك، بل إن مدينة واحدة كبنها تحتوي اليوم على ذلك العدد الذي كان ينتشر بين جوانح القليوبية كلها قديمًا.

وكانت نسبة التعليم فيها تتأرجح؛ كذلك بسبب عدم الاستقرار وكثرة المظالم والحروب التي مرت بها. ولكنها اليوم تُفاخر أعظم المديريات؛ فقد بلغت نسبة التعليم فيها أكثر من ٣٥٪، ومعظمهم من ذوى الثقافة العالية لقربهم من القاهرة.

والمصورات الجغرافية المرافقة لهذه العجالة تبيّن حدود هذه المحافظة في أزمان مختلفة.

متى وأين: فى المكان والزمان.؟

الباحث العارف بجذور التاريخ القديم يعلم أن اسم القليوبية كان عرضة للتغيير مع مرور الحِقَبِ التاريخية عليها، وأن موقعها الجغرافي كان

خاضعا للعوامل المؤثرة فيه من الصعود والهبوط، وأن فروقًا كثيرة يجدها الباحث في تغيُّر أسماء هذه البقعة بين كل عصر، ولعل انحصارها بين بوباستس ومصر القديمة كان من بين المؤثرات في هذا التقلب الإسمي.

لقد أجمع المؤرخون على أنها سبقت مصر القديمة في السكنى، وتنافست مع ممفيس في الأسرة الأولى، ورجّح مؤرخو العرب أن أون (عين شمس) كانت آهلة بالسكان عقب الطوفان، وكان فيها بعض الرسل والأنبياء)، كما أشرنا إلى ذلك آنفًا.

وكانت تسمى حين ذاك: فتروسيم، وتتحد مع الفرما في هذا الاسم؛ لأن الفرع البلوزي كان مبدؤه هذه المحافظة ويصب في البحر الأبيض بجوار الفرما مباشرة، ولذا كانت هذه البلاد وما بينها على اتصال بوساطة الملاحة النهرية، ولاسيما وأن التاريخ ينطق بأن صناعة السفن كانت في مقدمة الصناعات القديمة.

وكان لاتصال هذه البلاد وحدة أطلقوا عليها أرض جاشان (غسان) واستمر هذا الاسم إلى عهد رمسيس الأكبر فسموها أرض رمسيس، وفي العهد اليوناني أطلقوا عليها القسم الشرقي (الحوف الشرقي)، ويضم

الشرقية والقليوبية والدقهلية، ولكن تقسيم الكور (المراكز) ظهر في ذلك الوقت وسموا الجزء الشمالي من القليوبية أتريب (بجوار بنها الآن)، والجزء الجنوبي أون (عين شمس)، والجزء الشرقي بانا، واستمرت هذه التسمية في العصر الروماني إلى أن جاء العرب الفاتحون سنة ٦٤٠م/ ٢٠هـ. ؛ فسموها الحوف الشرقي وهو شرقي النيل مطلقًا (القليوبية والشرقية وجزء من الدقهلية)، ولكن أقسام القليوبية بقيت كما هي: أتريب. أون بانا. وفي عهد محمد علي سميت القليوبية نسبة إلى قليوب، ولكن بنها تغلبت على قليوب فانتزعت الكرسي منها وصارت هي العاصمة حتى الآن.

المساجد :

من المساجد الشهيرة التى تضمها محافظة القليوبية. مسجد الشيخ عواض بقليوب والذى يعود إلى عهد قايتباى، وجامع الظاهر، ومسجد محمد سالم الشواربى الذى يعود للعصر العثمانى، ومسجد الأوقاف بمشتهر الذى يعود للعصرين العثمانى والمملوكى ، ومسجد العمرى الذى بناه الخديوى عباس حلمى الثانى عام ١٨٩٨م، ومسجد الأشراف بالخانكة، والمسجد القديم بباسوس، والمسجد الكبير بأبو الغيط.

عباقرُ القليوبية

أعنى بالعبقرية: القوة الخارقة والنبوغ والظهور والسناء واللمعان، إذا سألت عن ذلك فستجد كثيرًا منها في هذه البقعة المباركة. ولعلها قديمًا كانت ألمع وأسمى وأبرز؛ فقد نشأ فيها الرسولان شِث وإدريس، كما يقول مؤرخو العرب.

وثُقف فيها موسى الرسول العظيم، وكان تعليمه وثقافته الأولى في بر رمسيس، وهو قصر رمسيس الأكبر على فرع النيل البلوزي. وفي السفن التي كانت تمخر عباب الماء أبحر موسى بأمر وليِّ أمره رمسيس إلي كعبة العلوم أون مهد الثقافة العالمية فى ذلك الزمن، ولما بلغ أشده واستوى آتاه الله علمًا وحكمة وتشريعًا.

كانت هذه الثقافة الواسعة إرهاصًا بالوحي الذي جاءت به التوراة تنزيلًا من ربه. حتى اعتبر المؤرخون موسى أبرز مشرِّع ظهرعلى وجه الأرض، وقد أشرنا إلى ذلك، كما أشرنا إلى تعليق فولتير ، وتزكية جوستف لبون المتوفى سنة ١٩٣٢م رجل الاجتماع والفلسفة والتاريخ.

وجاء عهد اليونان وكانت ثقافتهم في أون أيضًا، وبرز فيهم سولون وفيثاغورث وأفلاطون وتلاميذهم كالإسكندر وفيليب الأول وغيرهم من الفلاسفة والملوك، ولكن الرومان أهملوا كل شيء يوناني؛ لأن همُّهم الأكبر كان متركّزًا على حلب البقرة وحرمان أبنائها من لبنها؛ لقد كان غرضهم سلب أموال الشعب وتركه جاهلًا جائعًا مريضًا، كما هي سُنَّة الاستعمار من بدء نشأته في الدنيا.

فلما جاء المسلمون حولوا قبلة الثقافة إلى جامع عمرو بن العاص، وفي عهد ابن طولون كانت الثقافة والتعليم الطبي في مسجده، وجاء الفاطميون فجعلوا مركز الثقافة في الأزهر، ومن هنا تنبه القليوبيون واعتمدوا على أنفسهم وهرعوا إلى القاهرة ينهلون من فيوضها الحديثة. وقد نبغ منهم:

(١) يحيى بن شرف النووي:

وهو الفقيه المفسر المحدّث الذي فاضت مؤلفاته في الفقه والحديث والتفسير والأدب. وقد تميّز بدقّته و عمق بحثه و تضلُّعه فيما تناول من موضوعات؛ حتى إنه لم يثبت لديه سوى أربعين حديثًا اصطفاها من بين نصف مليون حديث من كتب الموطأ والأم، ومسند الإمام وغيرها من كتب الحديث، ولعل أصغر مؤلف له هو هذا الكتاب الذي احتضن أربعين حديثًا

كانت باكورة كل فقيه في الأزهر وغيره ممن يحبون الحديث أو يعملون به، وتوفي هذا الإمام سنة ٦٧٦هـ.

(٢) حسونة النواوي:

ومن عجب أن تتشابه صفات مولانا النواوي بصفات جده الأعلى الإمام يحيى النواوي فكلاهما كان زاهدًا ورعًا صادقًا في عمله موفقًا في بحوثه، وكلاهما خدم العلم والدين طويلا، ولكل منهما مؤلفات وتعليقات بارزة كان فيها فصل الخطاب في الفتاوى الدينية والقضايا الشرعية.

ولد السيد حسونة حوالي ١٢٤٦ هجرية في نوى، وثقف بالأزهر، وسلك طريق جده الإمام يحيى في الزهد والورع حتى بلغ شأوًا عظيمًا في الدين والتشريع، وتقلد مشيخة الأزهر طويلا. فكان من أفضل مَنْ تقلدوا هذا المنصب العظيم، وقد شاد الأجانب بعلوّ كعبه في الفقه والتوحيد، وتوفي ١٣١٧هـ. بعد أن تجاوز الخامسة والسبعين من عمره.

(٣) سليمان الشواربي:

هو أحد عباقرة عائلة الشواربي : كان رجلا وطنيا لم يحتمل أن يكون لفرنسا موطئ قدم فى بلده، فأسس جيشا مع الفلاحين، لمهاجمتهم أثناء

دخول الحملة الفرنسية مصر ومرورها بطريق قليوب، ودارت معركة حامية عند منطقة "سرياقوس" لم يحالف النصر فيها جيش الفلاحين، لكن الفلاحين عادوا واحتموا بمدينة قليوب، وحفروا حولها خندقا لحمايتهم من الفرنسيين، فما كان من نابليون إلا أن بعث الشيخين السادات والشناوى إلى "سليمان الشواربى" شيخ الشوارببة لمفاوضته على أن يتولى بر مصر، واصطحباه إلى القلعة حيث مقرّ حكم نابليون، وهناك غدر به الفرنسيون فحبسوه ١٥ يوما ، مع عشرة من عساكره. حتى تم إعدامه شنقا فى نفس يوم إعدام سليمان الحلبى.

(٤) القلقلشندي:

وهو الكاتب المؤرخ الشاب القلقشندي من قرقشنده قليوبية. كان نابغة عصره في التاريخ والنسب والتراجم والأدب، وها هي مؤلفاته الواسعة التي أبرزتها دار الكتب سنة ١٩٣١م، وفي مقدمتها صبح الأعشى فى أربعة عشر مجلدًا ، وكتاب نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب، فضلا عن مؤلفاته في كتابة الرسائل، وفي الأدب ومعاشرة الملوك، وتوفي هذا العبقري سنة ٨٢١هـ.

(٥) القليوبي الطبيب:

الذى نبغ في القرن الماضي فى العلوم الطبية، وقد ألَّف فيه تذكرة عريضة لا يزال أثرها يغزو جميع البلاد الشرقية وقد ولع الناس بوصفاتها الناجعة

وأسلوبها الرائع حتى زكاها بعض كبار الأطباء بالقصر العيني في أوائل هذا القرن وعدَّوه من نوابغ الأطباء، رغم أنه لم يدرس الطب في مدرسة، وإنما اتخذه هواية في زمن كثرت فيه الوصفات البلدية التي قد تضر ولا تنفع، ولكنه قضى على الخرافات وعلى طب الرُّكَّة في القرن الماضي بتذكرته الطبية العظيمة الأثر وتجاربه المفيدة.

(٦) سليمان البنهاوي:

كانت سنة ١٢٢٢هـ. مثالا للفوضى والاضطراب في الوقت الذي طالب أمراء المماليك فيه بتنفيذ كتاب الباب العالي (فى تركيا) ومنحهم حقوقهم، وقد عارض محمد علي في ذلك فثاروا ونهبوا القاهرة، وقد عاونهم جند محمد علي في السلب والنهب وسفك الدماء في القاهرة وضواحيها، وظهر في هذا الوقت المحرم ١٢٢٢هـ. سليمان البنهاوي، وكان شبه متصوف وله مريدون كثيرون، ثار هو وأعوانه على هذه المظالم والاضطرابات ووصل بجنده إلى القاهرة، وحاول الاستقلال بها مع القليوبية، ولكنه خُدع واحتال عليه أنصار محمد علي وأسروه، ثم قتلوه في رجب سنة ١٢٢٢هـ.

(٧) الشيخ الأجهوري:

لعل صيت الشيخ الأجهوري القليوبي (نسبة إلى أجهور) قد وصل إلى جميع البلاد العربية والمناطق الشرقية؛ فقد كانت حياته كلها صلح وإصلاح وتجديد في التشريع بما يلائم الأحداث التي عاش فيها بين المماليك والأجانب الذين يريدون استعمار بلادنا، وكان يؤكّد فى دروسه ومجالسه ضرورة التمسك بالدين والدفاع عنه وعن الوطن، وتولى مشيخة الأزهر في ظروف قاسية مضطربة ، ولكنه اجتازها بما كان معروفًا عنه من دماثة الطباع، وحُسن المعاملة، وتوفي سنة ١٢٠١هـ.

(٨) المراصفة:

لا يعارض أحد في نجابة المراصفة الذين وفدوا مع المسلمين العرب الفاتحين سنة ٢٠ هجرية، ثم اتصلوا بأقاربهم من قيس وربيعة وبني تميم وكونوا وحدة عربية تتلألأ بثقافتها الدينية وذكائها النادر بمرصفا في سماء القليوبية، وكان منهم:

٩- الشيخ حسن المرصفي الكبير:

اشتهر في القرن الماضي[يقصد القرن١٩] بفتاواه الميسّرة في الدين ولآلئه اللامعة في سماء الأزهر، وتقرأ ذلك في كتابه "نخبة المرصفى"؛ ففيه: المزْولة

وقياس القدم لمعرفة الأوقات، وفيه عشرات من المشكلات الدينية وحلها على المذهب الشافعي، ومنها مثلا إذا جمعت مساقي الطلاب حتى بلغت القربتين طهرت، وفيها شروط الوضوء وتكبيرة الإحرام وألوان من التجديد في فهم العبادات تدل على ذكائه وعبقريته، وتوفي سنة ١٩٠٣م.

١٠- السيد حسين المرصفي:

هو أحد أعلامهم. ذهب في بعثة إلى فرنسا. فكانت له فيها حياة تنطق بالعبقرية والعظمة والتمسك بالدين السليم، وقصته مع المبشرة الفرنسية التي كانت في خدمة البعثة تدل على أن الوعي المصري كان واضحا منذ قديم، وتوفي سنة ١٩٠٦م.

طائفة من هذه الأسرة هاجروا إلى طاروط في أواخر القرن الماضي ونبغ منهم:

١١- المستشار الكبير طاهر المرصفاوي:

ولد سنة ١٨٨٩م وثقف بالقاهرة وتخرج في الحقوق سنة ١٩٠٨م، وتقلب في مراتب القضاء وإدارة الداخلية، وكان رئيسًا لمحكمة الإسكندرية؛ فمستشارًا كبيرًا.

١٢- المستشار العبقري أحمد حسن المرصفاوي: ولد سنة ١٨٩٦م، وتخرج في الحقوق سنة ١٩١٦م، وكان من الأوائل بذكائه. وتقلب في مناصب الإدارة والقضاء حتى كان مستشارًا كبيرًا.

ومنهم من انتجع نزلة العرين في أوائل هذا القرن واتخذوا لهم زروعًا وحدائق ذات بهجة مع الثقافة الواسعة، وكان منهم:

١٣- الشيخ حسن نائل المرصفي:

من كبار العلماء: وتوفي سنة ١٩١١م.

١٤- الأستاذ محمد حسن نائل المرصفي:

تخرج في دار العلوم سنة ١٩٠٧م، وكان مدرسًا من العباقرة، ولكنه عدل إلى التأليف والصحافة، ورأس تحرير جريدة مصر، وأدار صحيفة السياسة حتى سنة ١٩٢٦م، ثم أنشأ مجلتي: الجديد وشهرزاد، ثم مسامرات الشعب، ومن مؤلفاته: الإبداع، ولآلئ الإنشاء، وشرح نهج البلاغة، وغير ذلك، وتوفي سنة ١٩٣٥م.

وفي هذه الأسرة عباقر كثيرون ونوابغ معروفون، تضيق عنها هذه العجالة.

١٥- الإمام محمد عبده:

قد يدهش القارئ لذكر الإمام محمد عبده هنا مع أنه ولد بمحلة نصر من البحيرة، وثقف بالأزهر، ولكن نشأته كانت بضواحي القليوبية ما بين المطرية وعين شمس، حيث التقى بزملائه الفلاسفة القدامى ونهج منهاجهم، وكأن العبقرية لم تواته إلا بالإقامة بين آثار أصحابه بالقليوبية، بل كأن النبوغ لم يتح فرصة لهذا الإمام إلا بين جدران تلك الآثار، وقد بنى فيها بيته الذي لم يزل قائما يزوره كل من أراد التزود بالثقافة الدينية الإصلاحية الحديثة والتشريع الناهض من مكتبة هذا الإمام الكبير.

لقد كره أسلوب التعليم فى الأزهر في صباه، حتى كاد يفر منه، ولكنه عاد إليه وشغف به بعد قدوم الشيخ جمال الدين الأفغاني عام ١٨٧١م إلى مصر، واتخذ له أعوانًا في جهات تتوارى عن الأعين ليحرك الوعي المصري ضد الظلم والاستعمار بعيدًا عن أعين الرقباء.

وكان من أعظم أنصاره الإمام محمد عبده الطالب بالأزهر والقاطن بعين شمس، كما كان لجمال الدين دروس ظاهرة في جهات عابدين والقاهرة ليدفع بها الجواسيس عن دروسه الخفية، ثم تقدم الإمام محمد عبده إلى العالمية

سنة ١٨٧٧م، ونجح بتفوق مع كراهية الشيوخ له. وتعاون مع مؤسسي الحزب الوطني العرابي لإنارة الشعب عن طريق الدروس الدينية، ثم اختير مدرسًا بدار العلوم فمدرسة الألسن، وكان محررًا في صحيفة الحكومة الرسمية سنة ١٨٧٩م، وكان له أثر عظيم في رفع المستوى الخلقي والإصلاح الديني وألهب الشعب المصري بالثورة مع أحمد عرابي.

ولكن خيانة توفيق وأعوانه وعملاء الاستعمار قضوا على هذه الثورة، وكان نصيب الثائرين الإعدام أوالنفي، وكان محمد عبده من المنفيين إلى سوريا ففرنسا، وفيها التقى بأستاذه جمال الدين وأنشئا معًا جمعية العروة الوثقى، ثم عاد الإمام محمد عبده إلى منزله بالقليوبية سنة ١٨٨٨هـ، وعين قاضيًا شرعيًا. فكان علمًا ساطعًا وفيصلا عادلا ومصلحًا. ثم عُيِّن عضوًا بالأزهر وحاول إصلاحه ووضع بذور الإصلاح.

ثم أُسندت إليه وظيفة مفتي الديار المصرية. وكان نشطًا فى مجالات عديدة؛ فقد أسس الجمعية الخيرية الإسلامية، ثم جمعية إحياء الكتب العربية. وله اتصالات ومحورات مشهورة مع المفكرين الأجانب محاولا إقناعهم بعظمة الإسلام، ومنهم الفيلسوف الروسي تولستوي الذي ألف كثيرًا عن الإسلام، ومنهم هانوتو ورينان، وقد وقف أمامهما وقفة الأسد حتى عرفوا

مكانة التشريع الإسلامي وعظمته، وتوفي هذا الإمام الكبير بمنزله الكائن بمحافظة القليوبية سنة ١٩٠٥م.

(١٦) حفني ناصف:

من عباقر القليوبية: حفني ناصف وهو مثال رائع في الأدب والقانون والشعر والنثر، ولد في قرية بركة الحج ، وتعلم مبدئيًا بالقرية؛ فالأزهر؛ فدار العلوم سنة ١٩٠٨م، وتفرغ للتأليف فأبرز مع زميليه الأستاذين محمد صالح ومصطفى العناني كتاب الدروس النحوية، ثم ألف مميزات لغة العرب، ثم القطار السريع في علم البديع، ثم اختير مدرسًا بالحقوق وتمكن من دروسها حتى تخرج فيها وبرز في القانون.

وقد طبق التشريع الإسلامي على أحكامه وهو بين القضاة الإنجليز، وها هي ذي قضية عبده فاضل سنة ١٩١٣م شاهدة له بعلو كعبه في حماية الشريعة الإسلامية، ثم كان وكيلا لمحكمة طنطا الكلية، ثم اختير مدرسًا للجامعة المصرية، ثم غادر القضاء والجامعة وأصبح كبير مفتشي اللغة العربية، ولم تغادره الفكاهة التي عرف بها وخفة الروح التي لازمته طيلة حياته مع صراحته ودماثة أخلاقه وشجاعته، وتوفي سنة ١٩١٩م.

(١٧) باحثة البادية ملك ناصف:

لم يخلف حفني ناصف كتبًا تُقرأ فحسب، بل خلف لؤلؤة الشرق باحثة البادية كريمته المرحومة ملك؛ لقد كانت عبقرية مصر وفخر القليوبية، وقد ترسَّمت خطى والدها فأينعت وأثمرت وآتت أكلها كل وقت، وظهر فضلها في الجامعة المصرية وهي تحاضر بين المئات من طالبات العلم اللائي عرفن بالنقد والبحث العميق، والعجيب أنها توفيت فى نفس السنة التى توفي فيها والدها (سنة ١٩١٩م.)

لقد اعتُبرت ملك حفنى ناصف أول فتاة مصرية تحصل على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٠م كما حصلت على شهادة في التعليم العالي لاحقا. وعُرفت بثقافتها الواسعة وكتاباتها في العديد من الدوريات والمطبوعات وكانت تجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية وتعرف شيئا من اللغات الأخرى، وهذا ما ساعدها في عملها.

معظم كتاباتها تدور حول تربية البنات وتوجيه النساء ومشاكل الأسرة. وفى زمنها استعرت معارك قلمية بين دعاة التحرر على النهج الغربي وبين أنصار الحجاب، فدفعت تجاوزات دعاة التحرر الغربي بآيات من القرآن الكريم ونصوص من السنة، وفنّدت آراء الذين يُرجعون تأخر الشرق إلى

التمسك بالحجاب ببراهين وأدلة عقلية، مثل قولها: "إن الأمم الأوروبية قد تساوت في السفور، ولم يكن تقدمها على مستوى واحد، فمنها الأمم القوية، ومنها الأمم الضعيفة، فلماذا لم يسوّ السفور بينها جميعا في مضمار التقدم، إذا كان هو الأساس للرقي الحضاري كما يزعم هؤلاء."

(١٨) الوزير عبد الجليل العِمَري:

آل العمري من أعلام القليوبية وهم بطون عريقة في العروبة ومعروفون في مصر والبلاد الشرقية، وقد نبغ منهم عدد كبير، ونشير إلى عَلَمٍ منهم وهو الأستاذ الوزير الاقتصادي الكبير عبد الجليل العمري، ولا أزكيه فهو أكبر من ذلك، ولمعرفتي بالأسرة من قديم يحجم قلمي عن أن يتحرك بمدح فيهم أو ثناء عليهم، ولكني أترك الشعب ينطق بالفخار بهم، سواء أكانوا في بنها أو في المنصورة.

(١٩) سهير القلماوي:

ولا أظن مخلوقًا مثقفًا لا يعرف من هي السيدة الجليلة سهير القلماوي من قلما (قليوبية) لقد برزت قبيل منتصف هذا القرن؛ فكانت عبقرية البلاد وحجة في المواقف والآراء الأدبية والاجتماعية، وقد اجتازت العقبات في

سبيل تحقيق أهدافها فى العمل والحياة وتميّزت بمكارم الأخلاق، وها هي ذي محاضراتها وإسهاماتها الفكرية تتحدث عنها في كل آن وتشهد لها في كل مكان.

**[هذا كلام مهذَب من جانب المؤلف الذى أعرف أنه لم يشأ أن يتطرَّق إلى ما تمثِّله سهير القلماوى بين مجموعة من بنات عصرها اللاتى كُن من أوليات من التحقن بالجامعة المصرية. اختارهن طه حسين ليكنّ نموذجًا أوربيًّا للفتاة المصرية المسلمة. ولكنى عاصرت سهير القلماوي طالبا بكلية الآداب عندما كانت هي أستاذة للأدب العربي ثم رئيسًا لقسم اللغة العربية بالكلية. وتابعتها بالقراءة فترة طويلة بعد التخرج. ويهمنى هنا أن أطلع القارئ على جانب من جوانب شخصية سهير القلماوي اعتادت الصحافة فى مصر أن تتجاهله . وفيه اعتراف شخصي منها بخطأ توجُّهاتها واندفاعها ومغالاتها فى موضوع تحرير المرأة المصرية على النهج الغربي. وقد ورد هذا فى كتاب لها بعنوان: "مع الكتب".

تقول فيه: " كنت أقرأ في كتاب طريف عن "المرأة اليوم" [لمؤلف غربيّ] فاستوقفني فيه خطاب أرسلته إحدى المتحمسات للحركة النسوية الحديثة للمؤلف تبدي فيه وجهة نظر النساء وقد تحررن من كل القيود، تقول: "إني

مع المتحمسات لجنسي ولكنني أتحمس له بأسلوب جديد وأدعو له دعوة جديدة ، دعوة لا تريد للمرأة أن تعود أدراجها فتكبت حرياتها وتحرم حقوقها ، ولكنها دعوة تريد من المرأة برغم كل الحقوق والمساواة أن تظل امرأة، فلقد اتضح لنا نحن نساء نصف القرن العشرين بعد جهاد نصف قرن أو يزيد أننا لا نريد أن نسلك في الحياة سلوك الرجال؛ ذلك أننا مغتبطات بهويتنا، ولكن هذا في حد نفسه يبدو عجيبا بالنسبة للحياة الاجتماعية والاقتصادية في هذه الأيام ، ذلك أننا إذا كنا حقا نساء فإننا إلى حد ما نحب الثناء ونحلم دائما وأبدا بالبيت الذي نربي فيه أبناءنا ؛ بيت نطهي فيه ونغسل ونكوي ، وهذا بالنسبة للمرأة الحديثة يبدو شبه مستحيل ، لذلك نشعر أننا لسنا أقل تعاسة من جداتنا اللاتي كن سجينات البيوت محرومات من كل حق ويتحرقن إلى أن يكن كالرجال وأن يتشبهن بهم – "

وتعلق الدكتورة سهير على كلامها قائلة : - لقد حرص المؤلف أن يُردف هذا الخطاب بخطابات أخرى كلها ترمي إلى تصوير هذه النزعة في المرأة الغربية بعد أن نالت في أكثر البلاد حقوقها؛ نزعة تريد للمرأة التي أنكرت كثيرا من أنوثتها في سبيل الدفاع عن حقوقها. وقد استبان لها بعد النصر أن هذا الإنكار لا يمكن أن تستمر فيه. استوقفني هذا الخطاب بالذات لأنه يصور لي ظاهرة قوية في مجتمعنا المصري، فلقد ظننا أن تشبث بعض نسائنا بأنوثتهن تأخر وضعف ، وأن القوة كل القوة وأن التقدم كل التقدم هو في

الثورة على الأوضاع التي تجعل المرأة تؤدي وظيفتها الأولى في الحياة وهي الأمومة " .

ثم تقول : "إن المصرية بفطرتها السليمة أدركت أنها لا يمكن أن تكون كالرجل ؛ لأن ذلك انحراف في الطبيعة . والطبيعة لا تقر الانحرافات وكما أن الرجل لا يمكن أن يكون امرأة فكذلك المرأة لا يمكن أن تكون رجلا، فلماذا التشبه ما دام المتشبه به ليس هو المثل الصحيح ؟ !"

"إن الله قد خلق المرأة مختلفة عن الرجل وفي هذا الاختلاف سر تفوق الجنسين بل سر دوامهما، ولو أن الله أراد أن يخلق رجالا أقوياء ليسموا رجالا، ورجالا ضعافًا ليسموا نساء لما أوجد في جسم المرأة وكيانها وأعصابها وغددها كل هذه الفروق التي يتجلى عنها البحث كل يوم فيظهر لنا العجب الذي لم نكن نتوقعه ."

"لقد خلق الله المرأة لغاية وخلق الرجل لغاية وكل منهما يعمل نحو هذه الغاية ، فإذا انحرف واحد منهما ليعمل عمل الآخر، انحرفت غايات الحياة الاجتماعية وشالت موازينها ، ولكن الطبيعة تظل صامدة قوية لا تعترف بهذا الانحراف، كل ما في الأمر هو اختلاف الآراء حول الحد الفاصل بين ميداني العمل، فالرجل يعمل والمرأة يجب أن تعمل في البيت وفي خارج البيت ولكن

على أن تعمل المرأة وهي امرأة لا تدعي لنفسها صفات الرجل ولا تتقمص شخصيته فتضيع شخصيتها."

"إن مهمة المرأة الأولى هي الأمومة. ومهمة الرجل الأولى هي معاونة المرأة على أداء هذه المهمة وتعهد الجيل الجديد بأن يهيأ له وطنا جيدًا ومجتمعاً صالحا، ولو أدركت المرأة هذه الحقيقة وفهمت كنهها ما تنازلت عن أنوثتها لأي سبب ولا في أية معركة.."] [المحقق].

٢٠- آل صبيح وفوده:

من نوى ومن غطارف العروبة في مصر بمركز نوى، وقد برز منهم عدد كبير من المثقفين، وأخص بالذكر السامي المرحوم الأستاذ أحمد محمد صبيح – رئيس محكمة القاهرة – وقد عرفته مصر بمكارم أخلاقه وحزمه وعدله، توفي في ١٣/ ٦/ ١٩٦٢م.

استدراك للمحقق:

هذه عينة من عباقرة القليوبية ساقها المؤلف. ولكن القليوبية حافلة بالرجال والنساء المتميزين والعباقرة الذين لم تشملهم قائمة المؤلف. لأنه كتبها فى عجالة. ولغرض ترجمتها إلى اللغة الألمانية للسبب الذى ذكرته فى

تقديمى للمخطوطة . ولكن لأننى شخصيا عشت فى القليوبية وعملت بها سنوات بلغت اثنتي عشرة سنة كاملة فإننى أود أن أضيف بعض الشخصيات الشهيرة ليس فى القليوبية وحدها ولكن على مستوى الجمهورية و فى العالم العربي والإسلامي . من هؤلاء أذكر -على سبيل المثال فقط لا الحصر- الشخصيات التالية:

** **الإمام الليث بن سعد:**

ولد بقرية قلقشندة عام ٥٩٣هـ وهو من كبار علماء الفقه الإسلامى.

** **يوسف الدجوى:**

أحد علماء الأزهر، وتم اختياره عضوا فى هيئة كبار علماء الأزهر ، وهو من مواليد قرية دجوى عام ١٨٧٠م.

** صبرى السربونى: ولد عام ١٨٩٠ وكان سكرتيرا للوفد المصرى الذى سافر إلى باريس عام ١٩١٩م لعرض القضية المصرية على مؤتمر الصلح، ويعد أول مصرى يحصل على دكتوراه الدولة فى الآداب من السوربون عام ١٩٢٤م، وعمل مديرا للبعثة التعليمية المصرية فى جنيف.

** الدكتور حسن الساعاتى: من مواليد الثلاثين من شهر سبتمبر عام

١٩١٦م بقليوب البلد، وحصل على الدكتوراه فى الاجتماع من لندن، ويعد رائداً من رواد علم الاجتماع، وفى عام ١٩٧٧ منحه الرئيس محمد أنور السادات وسام الجمهورية من الطبقة الثانية.

ولقد شرفت شخصيًّا بالتلمذة على الدكتور حسن الساعاتى عندما كنت طالبا بقسم الدراسات الفلسفية بالجامعة (١٩٥٣ – ١٩٥٧). حيث درّس لى مادة علم الاجتماع الجنائي.

** الدكتور يحيى المشد: ولد فى الحادى عشر من شهر يناير عام ١٩٣٢م وحصل على الدكتوراه فى هندسة المفاعلات النووية من الاتحاد السوفيتى، وعرضت عليه الدول الامتيازات والجنسية نظرًا لعبقريته ولكنه رفض وعاد إلى مصر وعمل بالطاقة الذرية فى العراق، واسمه مسجل فى موسوعة علماء الذرة. اغتاله عملاء الموساد فى باريس عام ١٩٨٠م.

**** الدكتور جمال حمدان:**

ولد فى الرابع من شهر فبراير عام ١٩٢٨م بقليوب، وفى عام ١٩٥٣ حصل على الدكتوراة فى فلسفة الجغرافية البشرية من جامعة ريدنج، وفى عام ١٩٦٣ استقال من الجامعة وتفرغ للتأليف، وفى عام ١٩٨٥ منحه الرئيس

مبارك جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية.

** **الشيخ عبد العظيم زاهر:**

من مواليد الثانى والعشرين من شهر فبراير عام١٩٠٤م. فى قرية مجول، وتم اعتماده قارئًا بالإذاعة المصرية ولقب بصاحب الصوت الذهبى .

** **الشيخ كامل يوسف البهتيمى:**

من مواليد عام ١٩٢٢م ببهتيم، وتم اعتماده قارئا بالإذاعة، وزار فلسطين والعديد من الدول.

مدن وقرى القليوبية إلى سنة ١٩٤١م

البلد	المركز	البلد	المركز
أبو الغيط	قليوب	الخصوص	شبين القناطر
أبو زعبل	شبين القناطر	الرملة	بنها
أجهور	قليوب	الزاوية الحمراء	ضواحي مصر
برشوم	قليوب	الزهويين	شبين القناطر
اسنيت	بنها	السد	قليوب
الحسانية	طوخ	السفاينة	طوخ
الأحراز	شبين القناطر	السلمانية	شبين القناطر
		السيفا	طوخ
الأميرية	ضواحي القاهرة	الشموت	بنها

البرادعة	قليوب	الشوبك	شبين القناطر
الجعافرة	شبين القناطر	الصالحية	طوخ
الحرانية	شبين القناطر	الصباح	قليوب
الحيانية	شبين القناطر		
الحصة	طوخ	المبادلة	طوخ
الحصافة	شبين القناطر	العطارة	شبين القناطر
الخانكة	شبين القناطر	العمار الكبرى	طوخ
الفؤادية	طوخ	الحزانية	طوخ
الخصوص	شبين القناطر	بهتيم	ضواحي القاهرة
القلج	شبين القناطر	ترسا	طوخ
القناطر	قليوب	كفر سليمان	شبين القناطر
الكوم الأحمر	شبين القناطر	جزيرة الأعجام	طوخ
المرج	شبين القناطر	جزيرة بدران	ضواحي القاهرة

المريج	شبين القناطر	جزيرة بلى	بنها
المطرية	ضواحي القاهرة	جمجرة١، ٢	بنها
المنايل	شبين القناطر	خلوة سنهرة	طوخ
المنشية	بنها	خلوة عبد النبي	طوخ
المنيرة	القناطر الخيرية	دجوى	طوخ
المنية	شبين القناطر	دمنهور شبرا	ضواحي القاهرة
الوايلي	ضواحي القاهرة	دندنا	طوخ
إمياي	طوخ	زاوية النجار	قليوب
باسوس	قليوب	زاوية بلتان	طوخ
بتمْدة	بنها	شلقان	القناطر الخيرية
بجام	ضواحي القاهرة	مشتول	شبين القناطر
برشوم	طوخ	سراقوس	شبين القناطر

برقطا	بنها	سندبيس	قليوب
بلتان	طوخ	سندنهور	بنها
سندوة	شبين القناطر	قرقشندة	طوخ
سنديون	قليوب	قرنفيل	قليوب
سنهرة	طوخ	قلما	قليوب
شبرا الخيمة	ضواحي القاهرة	قليوب	قليوب
شبرا شهاب	قليوب	قها	طوخ
شبرا هارس	طوخ	كفر أبو جمعة	قليوب
شبلنجة	بنها	كفر الأربعين	بنها
صنافير	قليوب	كفر الترجمان	قليوب ومعها كفر رمادة
طحانوب	شبين القناطر		
طحلة	بنها		

طحورية	شبين القناطر	كفر الجمال	طوخ
طنان	قليوب	كفر الحادث	قليوب
طنان الجزيرة	قليوب	كفر الحدادين	طوخ
طوخ الملق	طوخ	كفر الحصة	بنها
عزبة بلتان	طوخ	كفر الحمام	بنها
		كفر الحواله	قليوب
كفر الدير	شبين القناطر	كفر الصُّهبي	شبين القناطر
كفر الرجالات	طوخ	كفر العمار	طوخ
كفر السبيل	قليوب (مع حلابة)	كفر الفقهاء	طوخ
كفر الشرفا	شبين القناطر	كفر النخلة	طوخ
كفر الشرفا شرق	قليوب	كفر حسن سعد	طوخ
كفر الشرفا قبلي	شبين القناطر	كفر حمزة	شبين القناطر

كفر الشموت	بنها	كفر رضوان وعامر	بنها
كفر النهاوي	بنها	كفر سعد	بنها
كفر الشهيد	قليوب (مع الصباح)	كفر سعد بحري	شبين القناطر
كفر الشوبك	شبين القناطر	كفر سليم	قليوب
كفر إبراهيم	بنها	كفر سليمان	شبين القناطر مع تل بني تميم
كفر عامر	بنها (مع كفر رضوان)	كفر سندنهور	بنها
كفر سالم	شبين القناطر	كفر سندوة	شبين القناطر
		كفر شبين	شبين القناطر
كفر شرف الدين	بنها	كفر منصور	بنها
كفر شومان	طوخ (مع ميت كنانة)	كفر منصور	طوخ

كفر طحا	شبين القناطر	كفر عويس	بنها
كفر المحلة	بنها	كفر رماده	قليوب (مع الترجمان)
كفر طحورية	شبين القناطر	كفر اسنيت	بنها مع كفور عامر ورضوان
كفر عابد	طوخ	كفور عامر ومنصور	بنها
كفر عباق	شبين القناطر	كوم أشفين أو أجفين	قليوب
كفر عزب غنيم	بنها	كوم الأطرون	طوخ
كفر عطا الله	بنها	كوم السمن	شبين القناطر
كفر علوان	طوخ	مجول	بنها
كفر عليم	قليوب	مرصفا وكفر أحمد	بنها

كفر فاروق	ضواحي القاهرة	مزرعة الجبل الأصفر	شبين القناطر
كفر فرسيس	بنها	مسطرد	ضواحي مصر
كفر كُردى	بنها	مشتهر	طوخ
كفر محرم	طوخ مع كفر منصور)	منشأة عصمت	طوخ مع زاوية بلتان
كفر منصور	بنها	ميت كنانة وكفر شومان	طوخ
منشية العمار	طوخ	نزلة عرب جهينة	شبين القناطر
منصورة شبين	شبين القناطر	نوي	شبين القناطر
منطي	ضواحي القاهرة	منية السباع	بنها
		منية السيرج	ضواحي القاهرة
منية شبين	شبين القناطر	ميت العطار	بنها

ميت حلفا	قليوب	ميت السباع	بنها
ميت كنانة	طوخ	ميت راضي	بنها
ميت نما	قليوب	ميت عاصم	بنها
ناميل	طوخ	ناي	قليوب

ملحقات

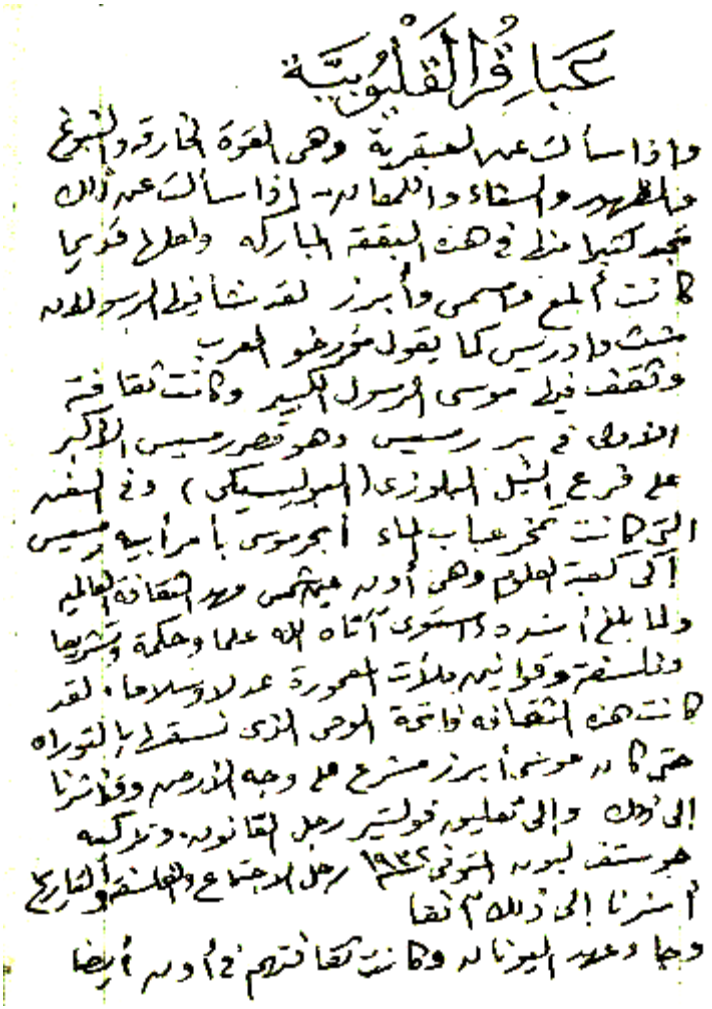

عبارة القليوبية

واذا سألت عن العبقرية وهي العبقرية الخارقة والنبوغ
والظهور والسناء والمعالي - اذا سألت عن ذلك
تجد كثيرا منه في هذه البقعة المباركة والطالع قويا
كانت أم علي وأبرز لقد نشأ في الرسولية
مثل وادريس كما يقول مؤرخو العرب
وتقف قبله موسى المرسل الكبير وكانت ثقافة
القوم في مرسيس وهو مصر مسيس الأكبر
على فرع النيل الملوزي (البلوسيكي) وفي المصر
التي كانت تحرس باب الماء أجر موسى بأمر ابنة فرعون
أن تعلمه العلوم وهي أدب ميثمس وعلم الثقافة العالية
ولما بلغ أشده واستوى آتاه الله علما وحكمة وشريعا
وفلسفة وقوانين وملأت الصورة عند ورسلها. لقد
كانت هذه الثقافة فاتحة الوحي الذي تسلقه بالتوراة
حتى كان موسى أبرز مشرع على وجه الأرض وقاد بنا
إلى الله وإلى تعليمه فولتير رجل القانون وتركيه
هو ستف لبوبه المتوفى ١٩٣٤م رجل الاجتماع والفلسفة والتاريخ
أسرنا إلى الله ثقافة
وجاء عهد المسيحية وكانت ثقافتهم قد أدبه أيضا

لمحة من خبرات محقق المخطوطة فى محافظة القليوبية

عملت فى محافظة القليوبية وعشت فيها بين مدينتى طوخ وبنها لمدة ١٢ سنة لم أفارقها إلا سنة١٩٦٤ انتدبت فيها إلى الفلبين لإنشاء وتجهيز مركز ثقافي تابع للسفارة الـ[illegible]ـية بمانيلا.. كانت فترة إقامتى بالقليوبية من أكثر فترات حياتى نشاطًا وحيوية وفاعلية ، فى مجال تنمية الحياة الفكرية والثقافية؛ فقد أدَرْتُ مكتبة نموذجية لأول مرة فى مدرسة طوخ الثانوية تحولت إلى مركز للنشاط الثقافى فى المدرسة وفى مجتمع المدينة بأسره.. وقد امتدت ساعات عملى فى هذا النشاط بعد انتهاء اليوم المدرسي بعدة ساعات ..

كما امتدّ هذا النشاط إلى مجلس مدينة طوخ الذى اكتشفت فى رئيسه "المهندس محمود حمدى سيف النصر" صديقًا وخبيرًا فى تنمية المجتمعات المحلية، كان حريصًا على تطبيق خبراته وعلمه الذى اكتسبه من بعثته الدراسية فى أوروبا..

تعاونّا فى إنشاء مكتبة عامة نموذجية فى مجلس المدينة وأصبحت المكتبتان مجالا لنشاط الشبان فى اكتساب مهارات القراءة والمعرفة على أوسع نطاق .. وإطارًا منظمًا للتعبير والتثقيف والحوار ؛ من خلال الندوات

والمحاضرات والمسابقات الأدبية .. و العلاقات الاجتماعية بين جماعة أصدقاء المكتبة التى استمرت حية وقوية حتى بعد تخرج أعضائها من الجامعات سنوات طويلة ..

فلما انتقلت إلى بنها امتد هذا النموذج من النشاط إليها بفضل مساعدة صديقيّ الأستاذ عبد الحكيم الحملاوى موجّه أول المكتبات المدرسية، والأستاذ حسن رشاد الأديب ومدير دار الكتب المصرية وإدارة المكتبات فى وزارة الإدارة المحلية.. وبفضل تشجيع ومتابعة حميمة من محافظ القليوبية فى ذلك الوقت "أحمد كمال أبو الفتوح"

وكانت نتيجة هذا التعاون الخلاق إنشاء ثلاثة مكتبات نموذجية : "مكتبة الناشئين" فى بنها للأطفال ما بين سن السادسة والرابعة عشرة، مزودة بأحدث الوسائل المقروءة والمسموعة -لأول مرة فى مصر.. ومكتبة عامة بمبنى المحافظة ومكتبة ريفية فى قرية كفر تصفَا .. وكان الأمل أن تكون هذه المكتبات نواة لمشروع يَطبَّق فى أنحاء جمهورية مصر العربية ..

الموضوع واسع ومتشعّب ويحتاج فى شرحه إلى كتاب.. ولكني أكتفى هنا بلمحة من خبراتى تكشف عن نمط الرجال الذين عرفتهم وتعاونت معهم فى تصميم وتنفيذ هذا المشروع الطموح .. وأخص بالذكر منهم أحمد

كمال أبو الفتوح محافظ القليوبية:

الْتقيتُهُ لأول مرة فى فبراير سنة ١٩٦٥.. كنت عائدًا حينذاك من الفلبين حيث كنت منتدبًا لوظيفة مدير المركز الثقافي المصري بمانيلا.. عدت إلى وزارة التربية والتعليم موجِّها للمكتبات المدرسية فى القليوبية.. وكنت فى حاجة ماسَّة إلى مسكن سريع فى بنها؛ فذهبت من فوري –طبقًا لنصيحة صديقى "محمود حمدى سيف النصر"رئيس مجلس مدينة طوخ- إلى ديوان المحافظة وطلبت موعدا مع المحافظ من مدير مكتبه.. كان الرجل ذكيا واسع الصدر ومتفهِّمًا فوعد بالاتصال بى فى الغد لتحديد الموعد.. استبشرت خيرا ..

ذهبت للقاء أحمد كمال أبو الفتوح، فرحّب بى واكتشفت أنه يعرف عنِّى أشياء كثيرة.. ربما من رئيس مجلس مدينة طوخ.. لم يترك لى فرصة لكى أتحدّث وأعرض عليه مشكلتى.. قال: "أعرف أنك فى طوخ كنت تمارس نشاطا ثقافيا واسعًا هناك، وأنك أنشأت مكتبة عامة بها أصبح لها روَّاد وأصدقاء.. وأنا أريدك أن تنقل هذا النشاط الثقافى إلى بنها.. وأن تعدَّ لى مشروعًا لإنشاء مكتبة عامة هنا وتعرضه علىَّ فى خلال أسبوع، وقد خصصت بالفعل للمكتبة مبنًى مناسبا سوف يصاحبك مدير العلاقات العامة لتراه الآن.."

سررت لوجود هذا النوع من الإدارة الفعَّالة التى يعرف أصحابها كيف يختارون مساعديهم ، وكيف يسندون المهام إلى ذوى الاختصاص والفاعلية .. وكيف يستفيدون من الفرص المتاحة ويقدّرون للوقت قيمته.. اقتربتْ نصف الساعة المخصصة لى على الانتهاء ولم أعرض مشكلة السكن بعد، فوقفت وقلت: "ولكن يا سيادة المحافظ..." ولم أكمل عبارتى فقد التقط الرجل ورقة كانت على المكتب أمامه ، ومدَّها إليَّ وهو يقول مبتسما: " هناك شقتان خاليتان فى عمارة قريبة من هنا اختر واحدة منهما وسوف تتسلمها فور توقيعك على العقد المرفق.." خرجت مذهولا من هذه الإيجابية والفعالية النادرة، فى محيط من البيروقراطية المصرية العتيدة..

كان هذا هو الانطباع الأول لى عن أحمد كمال أبو الفتوح .. حيث بدأت علاقتى به -خلال العمل- تتوطّد وأكتشف في شخصيته أبعادًا أخرى ربما كانت تخفى على الكثير من المحيطين به: لقد كنت أعرف مثل الآخرين أنه متحدِّث لبق وخطيب مؤثِّر ومقنع يجيد اختيار موضوعاته وأسلوبه.. ولكنى اكتشفت أنه مثقَّف من طرازٍ رفيع المستوى .. ولديه هموم فكرية لم يكن ليستطيع أن يعبِّر عنها لمن يحيطون به؛ فاهتماماتهم بعيدة عن هذا الإطار.. دعوته مرة لإلقاء محاضرة فى ندوة بعنوان:

"التربية الاستقلالية وأهميتها فى التنمية البشرية" وكان يشاركه فى الندوة مدير عام التربية والتعليم الذى كان رئيسى فى العمل.. ولكن محاضرته – للأسف الشديد- لم تكن لترقى إلى مستوى محاضرة "أبو الفتوح" فعلِّقت عليها بعبارتين اثنتين.. أما محاضرة "أبو الفتوح" فقد كانت دراسة منهجية عميقة لفكرة التربية الاستقلالية وجذورها الإسلامية وتطبيقاتها الغربية مع مقارنة لدقائقها وغاياتها فى إطار الحضارتين الغربية والإسلامية.. لينتهى إلى رؤيته الخاصة وتوصياته فى هذا المجال للمربِّين، ولوزارة التربية والتعليم بصفة خاصة..

بذل الرجل جُهدا مثمرًا فى القراءة والاطلاع على المصادر وجاء بأسانيده ومراجعه موثّقة .. ولم يكتفِ بمعلومات سطحية كما فعل مدير التربية والتعليم فى محاضرته، لذلك علّقت عليها بما تستحقه.. وقد أثارت بالفعل اهتمام الحاضرين ، وكَثُرَتْ أسئلتهم ؛ فأدهشهم بإجاباته كما أدهشهم بمحاضرته..

كان بيننا تيار من الثقة غير معلن أو معبَّرٍ عنه بالكلام .. كنت أستشعره .. ولكنى لا أتحدَّث عنه، له ولا لأحد غيره.. وأعتقد أنه أكبر هذا فى نفسه، فليس هناك أكره عند أصحاب هذه المراكز العامة –من الجادِّين المخلصين-

من أن يذهب كل من يحيط بهم يتباهى بثقة الرئيس فيه.. وأسوأ من ذلك أن يسوِّقَ نفسه بها عند الناس ، أو يتوسّل بها لجلب منافع خاصة..

لم أكن أتناول أجرًا عن عملى الإضافى خارج أوقات العمل الرسمية سواء فى النشاط الثقافي أو فى الإشراف على تنفيذ مشروع المكتبة العامة، الذى أُوكِلَ إليّ.. فقد أغنانى ربّى بمصادر أخرى من الرزق والحمد لله.. وكنت أعمل من باب الهواية، وتحقيقًا لرؤيتى الخاصة: أنه واجب وطنيّ لا ألتمس فيه الأجر إلا من ربِّى ..

كنت قد اشترطت على المحافظة أن تكافئ أمناء المكتبات الذين انتدبْتُهُمْ بمعرفتى لفهرسة الكتب وتنظيم المكتبة، وقدّمت أسماءهم واقترحت قيمة مكافآتهم الشهرية، فوافق عليها المحافظ.. وخرجتْ أول قائمة بالمكافآت وعلى رأسها إسمى فشطبت عليه بالقلم الأحمر وكتبت أمامه بالتنازل نهائيًّا عن المكافأة لصالح المشروع، ووقَّعت على التنازل..

لقد تكشّفت لى خلال علاقتى مع أحمد كمال أبو الفتوح جوانب هامة فى حياته وعلاقته بثورة١٩٥٢ منذ كانت الثورة جنينًا حتى وقت تقديمه (أول وآخر) استقالة مسببة لجمال عبد الناصر بعد هزيمة سنة ١٩٦٧.. كان أبو الفتوح ضابطا فى المخابرات العسكرية وكان واحدًا من الضباط الأحرار

وقريبًا من عبد الناصر.. فلما حدثت هزيمة الجيش بالصورة المخزية التى رأيناها زلزلت وجدانه مثل كثير من المفكرين المصريين الذين صُعِقوا لعظم الوهم الذى عاشوا فيه زمنا طويلا وهم يعتقدون أن لدينا جيشًا قويا مدربًا ومسلحًا بأقوى الأسلحة .. وقادر –ليس على حماية مصر والدفاع عنها فقط ، ولكن على الدفاع عن الأمة العربية كلها من الخليج إلى المحيط كما كان الإعلام يزهو ويتغنى بها..

لم يقبل عبد الناصر استقالة أبو الفتوح وانتهز فرصة وجوده باستراحته فى القناطر الخيرية فدعاه للقاء شخصي ليناقش معه الأمر.. وقد عرفت أن عبد الناصر سأله: لماذا تقدم استقالتك ومصر تحتاج إلى رجالها المخلصين الآن أكثر من أي وقت مضى..؟

وكانت إجابة الرجل على هذا النحو: "أنا لم أعد أصلح للقيام بأي دور فى هذه المرحلة ؛ حيث أن معنوياتى فى الحضيض .. لقد كان محور خطابى للناس أن يربطوا الأحزمة على بطونهم لأن لدينا صناعة عظيمة وإنتاج متنامي وأننا بسبيل إقامة نهضة اقتصادية كبرى تستحق الكدح والتضحيات .. ولدينا جيش قوي قادر على حماية عملية الانتاج والنهضة .. الآن لا أستطيع أن أعود إلى هذا الخطاب؛ لأننى كنت أقوم به وأنا مؤمن به واثق فيه

.. أما الآن فقد خبا إيمانى وانهارت ثقتى" ..

يئس عبد الناصر من إقناعه للرجوع عن استقالته وانتهى اجتماع القناطر الخيرية ، ليفاجأ أحمد كمال أبو الفتوح بخبر فى الصحف أنه قد تقرّر نقله وكيلا لوزارة الإدارة المحلية بالقاهرة..

ودّعَنا الرجل وقلبه ينوء بحزن ثقيل ثم رحل إلى القاهرة ؛ ولكنه لم يذهب ليتسلّم عمله بالوزارة .. وإنما لزم منزله فى مدينة نصر. فلم يغادره.. ولم نسمع عنه بعد ذلك ..

لم تكن حالتى النفسية بأفضل من حالته ؛ ولذلك بدأت أبحث عن وسيلة للخروج من مصر. ؛ إذ كنت أعتقد أننى لم يعد لى دور فيها .. وقد غمرنى شعور قاهر بأن مصر قد أصيبت بكارثة لن تبرأ منها قبل عشرات السنين.. وأن هزيمة مصر المخزية أمام العصابات الصهيونية -كما تعودنا أن نسميها- ستجر العالم العربي كله خمسين سنة إلى الوراء.. فلم تقم لمصر قائمة عام ١٩٧٠ إلا أنا وأسرتى تحملنا الطائرة إلى أقصى جنوب الأرض .. إلى أستراليا على بعد ١٤ ألف كيلومتر من أرض الوطن..

وقد حدث أننى عدت زائرا إلى مصر. بعد مرور ما يقرب من عشر. سنوات .. ورغم قِصَرِ فترة الزيارة كنت حريصًا على أن أرى المواقع التى

عملتُ فيها وساهمت فى بنائها فهالنى ما شاهدت ؛ حيث وجدت أكثر جهودى قد تبددت وأن مصر التى عرفتها تتقوّض وتنهار ركنًا بعد ركن .

ذهبت إلى مكتبة الناشئين التى كانت مركزًا حيويًّا للحركة والنشاط فإذا بها تتحول إلى مكاتب صاخبة يتكدّس فيها عدد كبير من الموظفين لا تعرف ماذا يعملون .. قلت لأحدهم : كان هنا مكتبة للأطفال تحيط بها حديقة مليئة بالنباتات والأزهار فأين ذهبت..؟ قال الرجل: لقد نقلت من زمان إلى شقة بعمارة فى سوق الخضار بوسط بنها.. فذهبت إلى حيث أشار واستعلمت عن المكتبة حتى وصلت إلى مكانها.. فإذا بى أفاجأ بباب فوقه لا فتة "مكتبة الناشئين" ولكنه مغلق بقفل كبير .. فلما سألت الجيران عن مواعيد فتح المكتبة ..؟ قالوا .. إنها مغلقة منذ أن نقلوا كتبها وأثاثها إلى هذا المكان..

محمد يوسف عدس

فقدت رغبتى فى مواصلة البحث عن مواقع أخرى تحسّبًا لمزيد من الصدمات النفسية.. فاكتفيت بما شاهدت وتأكدت فكرتى الأولى أن مصر تنهار وتتراجع ويتلاشى منها كل شيء جميل ..

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
عن المخطوطة	١٣
نبذة عن محافظة القليوبية بوضعها الحالي	٢٢
أهم المدن	٢٣
مجالات الاستثمار بالمحافظة	٢٤
العيد القومي	٢٤
الموقع الجغرافي للقلوبية	٢٥
متى ظهرت هذه البقعة المباركة	٢٦
في الأسرة الأولى	٣٢
الأسرة الثانية	٣٤
الأسرة الثالثة	٣٦
الأسرة الرابعة	٣٦
الأسرة الخامسة	٣٩
الأسرة السادسة وما بعدها (عصر الظلام)	٤٠
الأسرة الثانية عشرة	٤٢
الأسرة ١٣ وما بعدها	٤٥
الأسرات ١٥ ، ١٦ ، ١٧	٤٧

الموضوع	الصفحة
الأسرة١٩	٥٠
الأسرة	٥٤
فلسفة التوحيد	٦٠
الأسرة العشرون	٦٥
الأسرة الواحد والعشرون	٦٦
الأسرة الثانية والعشرون	٧
الأسرتان ٢٣ ، ٢٤	٧٠
بعض ملامح من الأسرتين ٢٦ و٢٧ وما بعدهما	٧٢
الأسرة ٧١ واليونان في مصر	٧٤
الرومان في مصر	٧٥
القليوبية في العهد الإسلامي	٧٦
الدولة العباسية	٧٩
في العهد الطولوني وما بعده	٨١
عصر محمد علي باشا	٨٦
منطقة صدامات وحروب تاريخية	٨٩
حدود القليوبية	٩٢
متى وأين في المكان والزمان؟	٩٤
المساجد	٩٦
عباقرة القليوبية	٩٧
مدن وقرى القليوبية إلى سنة ١٩٤١م	١١٧